سلسلة متون معهد السُّنّة - رقم (٧٢)
النسخة الأولى (١٤٤٤)

معهد السنة
As-Sunnah College

الفتوى
الحمويَّة الكُبرى

لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام ابن تيميّة
توفي سنة ٧٢٨ هـ رَحِمَهُ اللهُ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسَّلام علىٰ من لا نبي بعده.

سئل شيخ الإسلام العالم الرَّباني تقيُّ الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ:

ما قول السَّادة العلماء أئمّة الدِّين في آيات الصِّفات؛ كقوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾،(١) وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت:١١]، إلىٰ غير ذلك من آيات الصِّفات.

وأحاديث الصِّفات؛ كقوله ﷺ: «إنّ قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمـٰن»، وقوله: «يضع الجبّارُ قدمَه في النّار» إلىٰ غير ذلك.

وما قالت العلماء فيه، وابسطوا القول في ذلك مأجورين إن شاء الله تعالىٰ؟

فأجاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

الحمد لله ربِّ العالمين، قولنا فيها ما قاله اللهُ ورسوله ﷺ والسّابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وما قاله أئمَّة الهُدىٰ بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون علىٰ هدايتهم ودرايتهم، وهـٰذا هو الواجب علىٰ جميع الخلق في هـٰذا الباب وغيره؛ فإنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعث محمَّدًا ﷺ بالهدىٰ ودين الحقّ ليُخرج الناس من الظلمات إلىٰ النور بإذن ربهم إلىٰ صراط العزيز الحميد، وشهِدَ له بأنّه بعثَه داعيًا إليه بإذنه وسراجًا منيرًا، وأمره أن يقول: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف:١٠٨].

(١) وردت هـٰذه الآية في القرآن في ستّ مواضع: الأعراف:٥٤، يونس:٣، الرعد:٢، الفرقان:٥٩، السجدة:٤، الحديد:٤.

فمِن المحال في العقل والدِّين أن يكون السِّراج المُنير الذي أخرج اللهُ به الناسَ من الظّلمات إلىٰ النّور، وأنزل معه الكِتاب بالحق ليحكم بين النّاس فيما اختلفوا فيه، وأمر النَّاسَ أن يردُّوا ما تنازعوا فيه من أمر دينهم إلىٰ ما بُعث به من الكتاب والحكمة، وهو يدعو إلىٰ الله وإلىٰ سبيله بإذنه علىٰ بصيرة، وقد أخبر اللهُ بأنه أكملَ له ولأمّته دينهم وأتمَّ عليهم نعمته، محال -مع هـٰذا وغيره- أن يكون قد ترك بابَ الإيمان بالله والعلم به ملتبسًا مشتبهًا، ولم يميِّز بين ما يجب لله من الأسماء الحسنىٰ والصِّفات العليا، وما يجوز عليه وما يمتنع عليه.

فإنّ معرفة هـٰذا أصل الدِّين، وأساس الهداية، وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب وحصّلته النُّفوس، وأدركته العقول، فكيف يكون ذلك الكتاب، وذلك الرّسول، وأفضل خلق الله بعد النبيِّين لم يُحكِموا هـٰذا الباب اعتقادا وقولًا!

ومن المحال أيضًا أن يكون النبي ﷺ قد علّم أمّته كل شيء حتىٰ الخِراءة، وقال: «**تركتكم علىٰ المحجَّة البيضاء ليلُها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**»، وقال فيما صح عنه أيضًا: «**ما بعث الله من نبيٍّ إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته علىٰ خير ما يعلمه لهم، وينهاهم عن شرِّ ما يعلمه لهم**».

وقال أبو ذر رضي الله عنه لقد تُوفِّي رسول الله ﷺ وما طائر يقلِّب جناحيه في السّماء إلا ذكر لنا منه علمًا.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا فذكر بدء الخلق حتىٰ دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النّار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه. رواه البخاري.

ومحالٌ مع تعليمهم كلَّ شيءٍ لهم فيه منفعة في الدِّين -وإن دقّت- أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم ويعتقدونه في قلوبهم في ربِّهم ومعبودهم ربِّ العالمين، الذي معرفته غاية المعارف وعبادته أشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب؛ بل هـٰذا خلاصة الدّعوة النبوية وزبدة الرِّسالة الإلهية، فكيف يتوهَّم من في قلبه أدنىٰ مُسكة من إيمان وحكمة ألَّا

يكون بيان هـٰذا الباب قد وقع من الرّسول علىٰ غاية التَّمام، ثم إذا كان قد وقع ذلك منه فمن المُحال أن يكون خير أمته وأفضل قرونها قصَّروا في هـٰذا الباب؛ زائدين فيه أو ناقصين عنه.

ثم من المحال أيضًا أن تكون القُرون الفاضلة القرن الذي بُعث فيه رسول ﷺ ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم؛ كانوا غيرَ عالمين به وغير قائلين في هـٰذا الباب بالحقّ المُبين؛ لأن ضد ذلك إما عدم العلم والقول، وإما اعتقاد نقيض الحق وقول خلاف الصِّدق. وكلاهما ممتنع.

أمَّا الأول فلأن من في قلبه أدنىٰ حياةٍ وطلبٍ للعلم أو نَهمةٍ في العبادة، يكون البحث عن هـٰذا الباب والسُّؤال عنه ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصده وأعظم مطالبه؛ أعني: بيان ما ينبغي اعتقادُه لا معرفة كيفية الرَّب وصفاته.

وليست النفوس الصَّحيحة إلىٰ شيءٍ أشوق منها إلىٰ معرفة هـٰذا الأمر.

وهـٰذا أمر معلوم بالفطرة الوجدية، فكيف يُتصوّر مع قيام هـٰذا المقتضي الذي هو من أقوىٰ المقتضيات أن يتخلّف عنه مقتضاه في أولئك السّادة في مجموع عصورهم. هـٰذا لا يكاد يقع في أبلد الخلق، وأشدّهم إعراضًا عن الله وأعظمهم إكبابا علىٰ طلب الدُّنيا والغفلة عن ذكر الله تعالىٰ، فكيف يقع في أولئك؟!

وأما كونُهم كانوا معتقدين فيه غير الحق أو قائليه فهـٰذا لا يعتقده مسلم ولا عاقل عرف حال القوم.

ثم الكلام في هـٰذا الباب عنهم أكثر من أن يمكن سطره في هـٰذه الفتوىٰ أو أضعافها يعرف ذلك من طلبه وتتبَّعه.

ولا يجوز أيضا أن يكون الخالفون أعلم من السّالفين، كما قد يقوله بعض الأغبياء ممن لم يقدّر قدر السّلف؛ بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها من أنّ «**طريقةَ السَّلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم**».(١)

---

(١) وإن كانت هـٰذه العبارة إذا صدرت من بعض العلماء قد يُعنىٰ بها معنًىٰ صحيحا.

فإنَّ هؤلاء المبتدعين الذين يفضلون طريقة الخلف من المتفلسفة ومن حذا حذوهم علىٰ طريقة السَّلف إنما أُتوا من حيث ظنوا أنَّ طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث، من غير فقهٍ لذلك، بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة:٧٨]، وأنّ طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللّغات.

فهـٰذا الظَّن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر، وقد كذَبُوا علىٰ طريقة السّلف، وضلّوا في تصويب طريقة الخلف؛ فجمعوا بين الجهل بطريقة السّلف في الكذب عليهم، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف.

وسبب ذلك اعتقادُهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هـٰذه النصوص بالشبهات الفاسدة التي شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين؛ فلما اعتقدوا انتفاء الصِّفات في نفس الأمر وكان مع ذلك لابدّ للنصوص من معنًىٰ بقوا متردّدين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنىٰ - وهي التي يسمُّونها طريقة السّلف- وبين صرف اللفظ إلىٰ معانٍ بنوع تكلُّف -وهي التي يسمُّونها طريقة الخلف-، فصار هـٰذا الباطل مركَّبًا من فساد العقل والكفر بالسّمع، فإن النّفي إنما اعتمدوا فيه علىٰ أمور عقلية ظنوها بيِّنات وهي شبهات، والسمع حرفوا فيه الكلمَ عن مواضعه.

فلمَّا انبنىٰ أمرهم علىٰ هاتين المقدِّمتين الكاذبتين الكُفريتين كانت النتيجة: استجهال السّابقين الأوَّلين واستبلاههم، واعتقاد أنهم كانوا قومًا أميين بمنزلة الصّالحين من العامة، لم يتبحَّروا في حقائق العلم بالله، ولم يتفطَّنوا لدقائق العلم الإلهي، وأنّ الخلف الفضلاء حازوا قصب السّبق في هـٰذا كله.

ثم هـٰذا القول إذا تدبّره الإنسان وجده في غاية الجهالة؛ بل في غاية الضلالة.

كيف يكون هؤلاء المتأخِّرون، لاسيما والإشارة بالخلف إلىٰ ضربٍ من المتكلِّمين الذين كثر في باب الدِّين اضطرابهم، وغلُظ عن معرفة الله حجابهم، وأخبر الواقف علىٰ نهاية

إقدامهم بما انتهىٰ إليه أمرهم حيث يقول:

لعمري لقد طُفت المعاهد كلها ... وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعا كف حائر ... علىٰ ذَقَنٍ أو قارعًا سن نادم

وأقرّوا علىٰ أنفسهم بما قالوه متمثِّلين به أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم كقول بعض رؤسائهم:

نهاية إقدام العقول عقال ... وأكثر سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... و[غاية] دنيانا أذًىٰ ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوىٰ أن جمعنا فيه قيل وقالوا

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلا، ولا تروي غليلا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠]، وأقرأ في النفي: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورىٰ:١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ۝١١٠﴾ [طه]، ومن جرّب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي. ا.هـ

ويقول الآخر منهم: لقد خُضت البحر الخِضَم، وتركت أهل الإسلام وعلومهم، وخضت في الذي نهوني عنه، والآن إن لم يتداركني ربِّي برحمته فالويل لفلان، وها أنا ذا أموت علىٰ عقيدة أمِّي.ا.هـ

ويقول الآخر منهم: أكثر الناس شكًّا عند الموت أصحاب الكلام.

ثم هؤلاء المتكلِّمون المخالفون للسلف إذا حُقق عليهم الأمر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبرٌ، ولم يقفوا من ذلك علىٰ عين ولا أثر، كيف يكون هؤلاء المحجوبون [المفضولون] المنقوصون المسبوقون الحيارىٰ المتهوكون: أعلم بالله وأسمائه وصفاته، وأحكم في باب ذاته وآياته من السّابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتّبعوهم بإحسان، من ورثة الأنبياء وخلفاء الرّسل، وأعلام الهُدىٰ ومصابيح الدُّجىٰ، الذين

بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به علىٰ سائر أتباع الأنبياء، فضلًا عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم، وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جُمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيا من يطلب المقابلة.

ثم كيف يكون خير قرون الأمّة أنقص في العلم والحكمة -لاسيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته- من هؤلاء الأصاغر بالنّسبة إليهم؟ أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان، وورثة المجوس والمشركين، وضلّال اليهود والنصارىٰ والصابئين وأشكالهم وأشباههم؛ أعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان؟!

وإنما قدمتُ هـٰذه المقدمة؛ لأنّ من استقرت هـٰذه المقدمة عنده [علم] طريق الهدىٰ أين هو في هـٰذا الباب وغيره. وعلم أنّ الضلال والتهوّك إنما استولىٰ علىٰ كثيرٍ من المتأخرين بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم، وإعراضهم عما بعث الله به محمدًا ﷺ من البينات والهدىٰ، وترْكهم البحث عن طريقة السّابقين والتابعين والتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله بإقراره علىٰ نفسه، وبشهادة الأمّة علىٰ ذلك، وبدلالات كثيرة؛ وليس غرضي واحدا معيَّنا وإنما أصف نوع هؤلاء ونوع هؤلاء.

وإذا كان كذلك، فهـٰذا كتاب الله من أوّله إلىٰ آخره، وسنةُ رسوله ﷺ من أولها إلىٰ آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سائر الأئمة مملوءٌ بما هو إما نصٌّ وإما ظاهر في أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو العليُّ الأعلىٰ وهو فوق كل شيء، وهو عليٌّ علىٰ كلِّ شيء، وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء، مثل قوله تعالىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]، ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران:٥٥]، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك]، ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء:١٥٨]، ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٤]، ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾[السجدة:٥]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن

﴿فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥٠]، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[1] في ستّة مواضع، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر]، ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت]، ﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام:١١٤]. إلىٰ أمثال ذلك مما لا يكاد يحصىٰ إلا بكلفة.

وفي الأحاديث الصحاح والحسان ما لا يحصىٰ [إلا بالكلفة].

مثل قصة معراج الرسول ﷺ إلىٰ ربّه، ونزول الملائكة من عند الله وصعودها إليه؛ وقوله في الملائكة الذين يتعاقبون فيكم بالليل والنهار، فيعرج الذين باتوا فيكم إلىٰ ربهم فيسألهم وهو أعلم بهم.

وفي الصحيح في حديث الخوارج «أَلَا تَأْمَنُونِي؟ وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً».

وفي حديث الرُّقية الذي رواه أبو داود وغيره: «رَبُّنَا اللهُ الَّذِي فِي السّماء تَقَدّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السّمَاءِ وَالأَرْضِ، كما رَحْمَتُكَ فِي السّمَاء اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبّ الطّيّبِينَ أَنْزِلْ رَحْمَةً مِن رَحْمَتِكَ وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَىٰ هَذَا الْوَجَعِ».

قال رسول الله ﷺ: «إذا اشتكىٰ أحد منكم أو اشتكىٰ أخ له فليقل: ربنا الله الذي في السماء» وذكره.

وقوله في حديث الأوعال: «والعرش فوق ذلك، والله فوق عرشه، وهو يعلم ما أنتم عليه» رواه أحمد وأبو داود وغيرهما.

وهذا الحديث مع أنه قد رواه أهل السنن كأبي داود، وابن ماجه، والترمذي، وغيرهم، فهو مروي من طريقين مشهورين، فالقدح في أحدهما لا يقدح في الآخر، وقد رواه إمام الأئمة ابن خزيمة في كتاب «التوحيد» الذي اشترط فيه أنه لا يحتج فيه إلا بما نقله العدل عن العدل

(١) الأعراف:٥٤، يونس:٣، الرعد:٢، الفرقان:٥٩، السجدة:٤، الحديد:٤.

موصولًا إلىٰ النبي ﷺ.

وقوله في الحديث الصحيح للجارية: «**أين الله؟**» قالت: في السماء. قال: «**من أنا؟**» قالت: أنت رسول الله. قال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**».

وقوله في الحديث الصحيح: «**إنّ الله لما خلق الخلق كتب في كتابٍ موضوع عنده فوق العرش: إنَّ رحمتي سبقت غضبي**».

وقوله في حديث قبض الروح: «**حتىٰ يعرج بها إلىٰ السَّماء التي فيها الله تعالىٰ**» [إسناده علىٰ شرط الصَّحيحين].

وقول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه الذي أنشده للنَّبي ﷺ وأقرّه عليه:

شهدتُ بأنَّ وعد الله حقٌّ ... وأنَّ النَّار مثوَىٰ الكافرينَ
وأنَّ العرش فوق الماء طافٍ ... وفوق العرْش ربُّ العالمينَ

وقول أمية بن أبي الصَّلت الثقفي الذي أنشد للنبي ﷺ هو وغيره من شعره فاستحسنه، وقال: «**آمن شعره وكفر قلبه**» حيث قال:

مجدوا الله فهو للمجد أهل ... ربُّنا في السماء أمسىٰ كبيرا
بالبناء الأعلىٰ الذي سبق الناسَ ... وسوّىٰ فوق السماء سريرا
شرجعًا ما يناله بصر العين ... ترىٰ دونه الملائك صورا

وقوله في الحديث الذي في [السنن]: «**إن الله حيي كريم يستحيي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردُّهم صفرا**».

وقوله في الحديث: «**يمدّ يديه إلىٰ السَّماء يقول: يا ربِّ، يا ربِّ**»، إلىٰ أمثال ذلك مما لا يُحصيه إلا الله، مما هو أبلغ المتواترات اللفظية والمعنوية، التي تورث علمًا يقينيًّا من أبلغ العلوم الضّرورية أنَّ الرسول ﷺ المبلِّغ عن الله ألقىٰ إلىٰ أمته المدعوّين أنّ الله سبحانه علىٰ العرش وأنّه فوق السماء، كما فطر الله علىٰ ذلك جميع الأمم عربهم وعجمهم، في الجاهلية والإسلام؛ إلَّا من اجتالته الشياطين عن فطرته.

ثم عن السّلف في ذلك من الأقوال ما لو جُمع لبلغ [مئين] أو ألوفا.

ثم ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ ولا عن أحد من سلف الأمة؛ لا من الصّحابة ولا من التابعين لهم بإحسان، ولا عن الأئمّة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف، حرف واحد يخالف ذلك لا نصًّا ولا ظاهرًا.

ولم يقل أحد منهم قط: إنّ الله ليس في السماء. ولا أنه ليس علىٰ العرش، ولا أنّه بذاته في كل مكان، ولا أنّ جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء، ولا أنّه لا داخلَ العالم ولا خارجه، ولا أنّه لا متصل ولا منفصل، ولا أنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه [بالأصابع] ونحوها؛ بل قد ثبت في «الصحيح» عن جابر بن عبد الله أنّ النبي ﷺ لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات في أعظم مجمع حضره الرسول ﷺ جعل يقول: «**ألا هل بلّغت**» فيقولون: نعم، فيرفع إصبعه إلىٰ السماء ثم ينكبها إليهم، ويقول: «**اللّٰهُمَّ اشهد**» غير مرة، وأمثال ذلك كثيرة.

فإن كان الحق فيما يقوله هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة في [الكتاب والسنة]، من هـٰذه العبارات ونحوها دون ما يفهم من الكتاب والسنة إما نصًّا وإما ظاهرا، فكيف يجوز علىٰ الله تعالىٰ ثم علىٰ رسوله ﷺ ثم علىٰ خير الأمة أنهم يتكلّمون دائمًا بما هو إما نص وإما ظاهر في خلاف الحق، [ثم الحق] الذي يجب اعتقاده لا يبوحون به قط، ولا يدلون عليه لا نصّا ولا ظاهرا حتىٰ يجيء أنباط الفُرس والروم وفروخ اليهود والنصارىٰ والفلاسفة يبينون للأمة العقيدة الصّحيحة التي يجب علىٰ كل مكلّف أو كل فاضل أن يعتقدها.

لئن كان ما يقوله هؤلاء المتكلّمون المتكلّفون هو الاعتقاد الواجب، وهم مع ذلك أُحيلوا في معرفته علىٰ مجرّد عقولهم، وأنّ يدفعوا بما اقتضىٰ قياس عقولهم ما دل عليه الكتاب والسنة نصًّا أو ظاهرا، لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدىٰ لهم وأنفع علىٰ هـٰذا التّقدير؛ بل كان وجود الكتاب والسنة ضررًا محضا في أصل الدين.

فإنّ حقيقة الأمر علىٰ ما يقوله هؤلاء: إنّكم يا معشر العباد [لا تطلبون] معرفة الله عَزَّوَجَلَّ، وما يستحقه من الصِّفات نفيا وإثباتا لا من الكتاب ولا من السنة ولا من طريق سلف الأمة.

ولكن انظروا أنتم: فما وجدتموه مستحقًّا له من الصِّفات فصفوه به -سواء كان موجودا في الكتاب والسنة أو لم يكن- وما لم تجدوه مستحقًّا له في عقولكم فلا تصفوه به؟

ثم هُمْ ها هنا فريقان:

أكثرهم يقولون: ما لم تثبته عقولكم فانفوه.

ومنهم من يقول: بل توقفوا فيه، وما نفاه قياس عقولكم -الذي أنتم فيه مختلفون مضطربون اختلافًا أكثر من جميع [اختلافٍ] علىٰ وجه الأرض- فانفوه، وإليه عند التنازع فارجعوا، فإنه الحقُّ الذي تعبدتكم به، وما كان مذكورا في الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هـٰذا، أو يثبت ما لم تدركه عقولكم -علىٰ طريقة أكثرهم- فاعلموا أني أمتحنكم بتنزيله، لا لتأخذوا الهدىٰ منه، لكن لتجتهدوا في تخريجه علىٰ شواذ اللغة، ووحشي الألفاظ، وغرائب الكلام، أو أن تسكتوا عنه مفوِّضين علمه إلىٰ الله، مع نفي دلالته علىٰ شيء من الصِّفات، هـٰذا حقيقة الأمر علىٰ رأىٰ هؤلاء المتكلِّمين.

وهـٰذا الكلام قد رأيته صرّح بمعناه طائفة منهم، وهو لازمٌ لجماعتهم لزوما لا محيد عنه، ومضمونه أنّ كتاب الله لا يُهتدىٰ به في معرفة الله، وأنّ الرسول معزول عن التعليم والإخبار بصفات من أرسله، وأن الناس عند التنازع لا يردون ما تنازعوا فيه إلىٰ الله والرسول؛ بل إلىٰ مثل ما كانوا عليه في الجاهلية، وإلىٰ مثل ما يتحاكم إليه من لا يؤمن بالأنبياء كالبراهمة والفلاسفة -وهم المشركون- والمجوس وبعض الصابئين.

وإن كان هـٰذا الرّد لا يزيد الأمر إلا شدة ولا يرتفع الخلاف به إذْ لكل فريق طواغيت يريدون أن يتحاكموا إليهم، وقد أُمروا أن يكفُروا بهم، وما أشبه [حال] هؤلاء [المتكلمين] بقوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ

إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾[النساء].

فإنَّ هؤلاء إذا دعوا إلىٰ ما أنزل الله من الكتاب وإلىٰ الرسول -والدعاء إليه بعد وفاته هو الدعاء إلىٰ سنَّته- أعرضوا عن ذلك وهم يقولون: إنا قصدنا الإحسان علمًا وعملًا بهٰذه الطريق التي سلكناها، والتوفيق بين الدلائل العقلية والنّقلية.

ثم عامة هٰذه الشبهات التي يسمُّونها دلائل إنما تَقَلَّدوا أكثرها عن طواغيت من طواغيت المشركين أو الصّابئين، أو بعض ورثتهم الذين أُمروا أن يكفروا بهم؛ مثل فلان وفلان، أو عمّن قال كقولهم لتشابه قلوبهم، [قال الله تعالىٰ]: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء]، ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ﴾ [البقرة:٢١٣] الآية.

ولازم هٰذه المقالة ألَّا يكون الكتاب هدًىٰ للناس، ولا بيانا ولا شفاء لما في الصدور ولا نورًا، ولا مردًّا عند التنازع، لأنّا نعلم بالاضطرار أن ما يقوله هؤلاء المتكلِّفون أنَّه الحق الذي يجب اعتقاده لم يدلَّ عليه الكتاب والسنة لا نصا ولا ظاهرا، وإنَّما غاية المتحذلق أن يستنتج هٰذا من قوله: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص]، ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم].

وبالاضطرار يعلم كل عاقل أنَّ من دلّ الخلق علىٰ أنّ الله ليس علىٰ العرش، ولا فوق السمٰوات ونحو ذلك بقوله: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾﴾ لقد أبعد النُّجعة، وهو إما مُلْغِزٌ وإما مدلّس لم يخاطبهم بلسان عربي مبين.

ولازم هٰذه المقالة أن يكون ترك الناس بلا رسالة خيرا لهم في أصل دينهم؛ لأنّ مردّهم قبل الرسالة وبعدها واحد، وإنما الرسالة زادتهم عمًىٰ وضلالة.

يا سبحان الله! كيف لم يقل الرسول يوما من الدّهر ولا أحد من سلف الأمة هٰذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلّت عليه؛ ولكن اعتقدوا الذي تقتضيه مقاييسكم، أو اعتقدوا كذا وكذا فإنّه الحقّ، وما خالف ظاهره فلا تعتقدوا ظاهره، وانظروا فيها فما وافق قياس عقولكم

[فاقبلوه] وما لا فتوقفوا فيه أو أنفوه.

ثم رسول الله ﷺ قد أخبر أن أمته ستفترق علىٰ ثلاثٍ وسبعين فرقة، فقد علم ما سيكون، ثم قال: «إني تاركٌ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا؛ كتاب الله».

ورُوي عنه أنه قال في صفة الفرقة الناجية: «هم من كان علىٰ مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

فهلّا قال: من تمسّك بالقرآن أو بدلالة القرآن أو بمفهوم القرآن أو بظاهر القرآن في باب الاعتقادات فهو ضالٌّ، وإنما الهدىٰ رجوعكم إلىٰ مقاييس عقولكم، وما يحدثه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة [في هـٰذه المقالة]، وإن كان قد نبغ أصلها في أواخر عصر التابعين. ثم أصل هـٰذه المقالة -مقالة التعطيل للصفات- إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين وضلّال الصّابئين؛ فإن من حُفِظَ عنه أنه قال هـٰذه المقالة في الإسلام -أعني: **أن الله ﷻ ليس علىٰ العرش حقيقة وأن معنىٰ استوىٰ بمعنىٰ استولىٰ** ونحو ذلك- هو الجعد بن درهم، وأخذها عنه الجهم بن صفوان؛ وأظهرها فنُسبت مقالة الجهمية إليه، وقد قيل: إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي ﷺ، وكان الجعد بن درهم هـٰذا -فيما قيل- من أهل حرّان، وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة، بقايا أهل دين النمرود، والكنعانيين الذين صنّف بعض المتأخرين في سحرهم، والنّمرود هو ملك الصابئة [الكنعانيين] المشركين، كما أن كسرىٰ ملك الفرس والمجوس، وفرعون ملك مصر [القبط الكفار]، والنجاشي ملك الحبشة النصارىٰ، وبطليموس ملك اليونان، وقيصر ملك الروم، فهو اسم جنس لا اسم علم.

فكانت الصابئة إلا قليلا منهم إذ ذاك علىٰ الشرك وعلماؤهم هم الفلاسفة، وإن كان الصابئ قد لا يكون مشركًا؛ بل مؤمنا بالله واليوم الآخر كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ

عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾[البقرة]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [المائدة].

لكن كثيرا منهم أو أكثرهم كانوا كفارا أو مشركين، كما أن كثيرا من اليهود والنصارىٰ بدّلوا وحرّفوا وصاروا كفارا أو مشركين، فأولئك الصابئون الذين كانوا إذ ذاك؛ كانوا كفارا أو مشركين وكانوا يعبدون الكواكب ويبنون لها الهياكل.

ومذهب النفاة من هؤلاء في الرب: أنه ليس له إلا صفات سلبية أو إضافية أو مركبة منهما وهم الذين بعث إليهم إبراهيم الخليل، فيكون الجعد قد أخذها عن الصابئة الفلاسفة.

وكذلك أبو نصر الفارابي دخل حرّان وأخذ عن فلاسفة الصّابئين تمام فلسفته، وأخذها الجهم أيضا -فيما ذكره الإمام أحمد وغيره- لمَّا ناظر السُّمنية بعض فلاسفة الهند -وهم الذين يجحدون من العلوم ما سوىٰ الحسِّيات.

فهـٰذه أسانيد جهم ترجع إلىٰ اليهود والصابئين والمُشركين، والفلاسفة الضّالون هم إما من الصابئين وإما من المشركين.

ثم لما عُرِّبَت الكتب الرّومية [واليونانية] في حدود المائة الثانية زاد البلاء مع ما ألقىٰ الشيطان في قلوب الضّلال ابتداءً، من جنس ما ألقاه في قلوب أشباههم.

ولما كان في حدود المائة [الثالثة] انتشرت هـٰذه المقالة التي كان السلف يسمّونها مقالة الجهمية، بسبب بشر بن غيّاث المريسي وطبقته، وكلام الأئمة مثل مالك، وسفيان بن عيينة، وابن المبارك، وأبي يوسف، والشّافعي، وأحمد، وإسحاق، والفُضيل بن عياض، وبشر الحافي، وغيرهم، في هؤلاء كثير في ذمِّهم وتضليلهم.

وهـٰذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي النّاس مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر بن فُورك في كتاب «التأويلات»، وذكرها أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي سماه «تأسيس التقديس»، ويوجد كثير منها في كلام خلق [كثيرٍ] غير هؤلاء مثل: أبي علي الجبائي

وعبد الجبار بن أحمد الهمداني، وأبي الحسين البصري، وأبي الوفاء ابن عَقيل، وأبي حامد الغزالي، وغيرهم؛ هي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي في كتابه: وإن كان قد يوجد في كلام بعض هؤلاء رد التأويل وإبطاله أيضًا، ولهم كلام حسنٌ في أشياء.

فإنما بينت أن عين تأويلاتهم هي عين تأويلات [بشر] المريسي، ويدلُّ علىٰ ذلك كتاب الرد الذي صنفه عثمان بن سعيد الدارمي أحد الأئمة المشاهير في زمان البُخاري، صنّف كتابا سماه: «رد عثمان بن سعيد علىٰ الكاذب العنيد فيما افترىٰ علىٰ الله في التّوحيد» حكىٰ فيه هـٰذه التأويلات بأعيانها عن بشر المريسي بكلام يقتضي أن المريسي أقعد بها وأعلم بالمنقول والمعقول من هؤلاء المتأخّرين الذين اتصلت إليهم من جهته [وجهة غيره]، ثم ردّ ذلك عثمان بن سعيد بكلام إذا طالعه العاقل الذَّكي علم حقيقة ما كان عليه السلف، وتبين له ظهور الحُجة لطريقهم، وضعف حجّة من خالفهم.

ثم إذا رأىٰ الأئمة -أئمة الهدىٰ- قد أجمعوا علىٰ ذمِّ المريسية وأكثرهم كفَّروهم أو ضللوهم، وعلم أن هـٰذا القول السّاري في هؤلاء المتأخِّرين هو مذهب المريسية تبيَّن الهدىٰ لمن يريد الله هدايته ولا حول ولا قوَّة إلا بالله.

والفتوىٰ لا تحتمل البسط في هـٰذا الباب، وإنما أُشير إشارة إلىٰ مبادئ الأمور والعاقل يسير وينظر.

وكلام السَّلف في هـٰذا الباب موجود في كتبٍ كثيرة لا يمكن أن نذكر هاهنا إلا قليلًا منه، مثل كتاب «السنن» للالكائي، و«الإبانة» لابن بطة، و«السنة» لأبي ذر الهروي، و«الأصول» لأبي عمرو الطلمنكي، وكلام أبي عمر ابن عبد البر، و«الأسماء والصفات» للبيهقي، وقبل ذلك «السنة» للطبراني، ولأبي الشيخ الأصبهاني، ولأبي عبد الله بن منده، ولأبي أحمد العسّال الأصبهاني، وقبل ذلك «السنة» للخلال، و«التوحيد» لابن خزيمة، وكلام أبي العباس ابن سريج، و«الرد علىٰ الجهمية» لجماعة، مثل البخاري وشيخه عبد الله بن محمد بن عبد الله الجعفي، وقبل ذلك «السنة» لعبد الله بن أحمد، و«السنة» لأبي بكر بن الأثرم،

و«السنة» لحنبل، وللمروذي ولأبي داود السجستاني، ولابن أبي شيبة، و«السنة» لأبي بكر بن أبي عاصم، وكتاب «خلق أفعال العباد» لأبي عبد الله البخاري، وكتاب «الرد علىٰ الجهمية» لعثمان بن سعيد الدارمي، وغيرهم.

وكلام أبي العباس عبد العزيز المكِّي صاحب «الحيدة» في الرد علىٰ الجهمية، وكلام نعيم بن حماد الخزاعي، وكلام غيرهم، وكلام الإمام أحمد ابن حنبل وإسحاق بن راهويه ويحيىٰ بن سعيد، ويحيىٰ بن يحيىٰ النيسابوري، وأمثالهم.

وقبل هؤلاء لعبد الله بن المبارك وأمثاله وأشياء كثيرة.

وعندنا من الدلائل السمعية والعقلية ما لا يتَّسع هـٰذا الموضع لذكره، وأنا أعلم أن المتكلِّمين النُّفاة لهم شبهات موجودة؛ ولكن لا يمكن ذكرها في الفتوىٰ، فمن نظر فيها وأراد إبانة ما ذكروه من الشُّبه فإنه يسير.

فإذا كان أصل هـٰذه المقالة -مقالة التعطيل والتأويل- مأخوذًا عن تلامذة المشركين، والصابئين، واليهود، فكيف تطيب نفس مؤمن؛ بل نفس عاقل أن يأخذ سبيل هؤلاء المغضوب عليهم أو الضَّالين، ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيِّين والصدِّيقين والشهداء والصَّالحين.

فصـــــــل

ثم القول الشامل في جميع هـٰذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه، أو بما وصفه به رسوله ﷺ، وبما وصفه به السَّابقون الأولون لا يُتجاوز القرآن والحديث.

قال الإمام أحمد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو بما وصفه به رسوله ﷺ، لا يتجاوز القرآن والحديث.

ومذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

ونعلم أن ما وُصف الله به من ذلك فهو حقٌّ ليس فيه لغز ولا أحاجي؛ بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه لاسيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول، وأفصح الخلق في بيان العلم، و[أنصح] الخلق في البيان والتعريف والدلالة والإرشاد.

وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته، ولا في أفعاله، فكما يتيقن أنّ الله سبحانه له ذات حقيقة، وله أفعال حقيقية، فكذلك له صفات حقيقية، وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، وكل ما أوجب نقصًا أو حدوثا فإن الله منزه عنه حقيقة، فإنه سبحانه مستحقٌّ للكمال الذي لا غاية فوقه، ويمتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه، واستلزام الحدوث سابقه العدم ولافتقار المحدَث إلىٰ محدِث، ولوجوب وجوده بنفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومذهب السّلف بين التعطيل والتمثيل، فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه، كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ووصفه به رسُوله؛ فيعطلوا أسماءه الحُسنىٰ وصفاته العليا ويحرِّفوا الكلم عن مواضعه، ويلحدوا في أسماء الله وآياته.

وكلُّ واحد من فريقي التعطيل والتمثيل فهو جامع بين التعطيل والتمثيل.

أمَّا المعطلون فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق، ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات، فقد جمعوا بين التَّمثيل والتعطيل؛ مثلوا أولا وعطلوا آخرا،

وهـٰذا تشبيهٌ وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم، وتعطيلٌ لما يستحقه هو سبحانه من الأسماء والصِّفات اللائقة بالله ﷻ.

فإنه إذا قال القائل: لو كان الله فوق العرش للزم إما أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساويًا، وكل ذلك من المحال، ونحو ذلك من الكلام، فإنّه لم يفهم من كون الله علىٰ العرش إلا ما يثبت لأي جسم كان علىٰ أي جسم كان، وهـٰذا اللازم تابع لهـٰذا المفهوم، أما استواء يليق بجلال الله تعالىٰ ويختص به فلا يلزمه شيء من اللوازم الباطلة التي يجب نفيها، كما يلزم من سائر الأجسام.

وصار هـٰذا مثل قول الممثل إذا كان للعالم صانع، فإما أن يكون جوهرا أو عَرَضا وكلاهما مُحال، إذ لا يعقل موجود إلا هـٰذان، وقوله: إذا كان مستويا علىٰ العرش فهو مماثل لاستواء الإنسان علىٰ السَّرير أو الفلك، إذ لا يُعلم الاستواء إلا هكذا، فإن كليهما مثّل وكليهما عطّل حقيقة ما وصف الله به نفسه، وامتاز الأول بتعطيل كل اسم للاستواء الحقيقي، وامتاز الثاني بإثبات استواء هو من خصائص المخلوقين.

والقول الفاصل هو ما عليه الأمّة الوسط؛ من أنّ الله مستو علىٰ عرشه استواء يليق بجلاله ويختص به، فكما أنه موصوف بأنه بكل شيء عليم، وعلىٰ كل شيء قدير وأنه سميع بصير، ونحو ذلك ولا يجوز أن يثبت للعلم والقدرة خصائص الأعراض التي كعلم المخلوقين وقدرتهم، فكذلك هو سبحانه فوق العرش، ولا يثبت لفوقيته خصائص فوقية المخلوق علىٰ المخلوق ولوازمها.

واعلم أنه ليس في العقل الصَّريح، ولا في شيء من النقل الصحيح ما يوجب مخالفة الطريقة السّلفية أصلا؛ لكن هـٰذا الموضع لا يتسع للجواب عن الشّبهات الواردة علىٰ الحق، فمن كان في قلبه شبهة وأحب حلها فذلك سهل يسير.

ثم المخالفون للكتاب والسنة وسلف الأمة -من المتأولين لهـٰذا الباب- في أمر مريج، فإنَّ من أنكر الرؤية يزعم أن العقل يُحيلها وأنه مضطر فيها إلىٰ التأويل، ومن يحيل أنّ لله

علمًا وقدرة، وأن يكون كلامه غير مخلوقٍ ونحو ذلك يقول: إنَّ العقل أحال ذلك فاضطر إلىٰ التّأويل؛ بل من ينكر حقيقة حشر الأجساد والأكل والشرب الحقيقي في الجنة، يزعم أن العقل أحال ذلك، وأنه مضطرٌّ إلىٰ التأويل، ومن زعم أن الله ليس فوق العرش: يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر إلىٰ التأويل.

ويكفيك دليلًا علىٰ فساد قول هؤلاء أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل؛ بل منهم من يزعم أن العقل جوّز أو أوجب ما يدّعي الآخر أنَّ العقل أحاله.

فيا ليت شعري بأي عقل يوزن الكتاب والسنة، فرضي الله عن الإمام مالك بن أنس، حيث قال: أَوَ كلَّما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلىٰ محمد ﷺ لجدَل هؤلاء.

وكلٌّ من هؤلاء مخصوم بما خصم به الآخر، **وهو من وجوه:**

أحدها: بيان أن العقل لا يُحيل ذلك.

والثاني: أنّ النصوص الواردة لا تحتمل التأويل.

والثّالث: أنّ عامة هـٰذه الأمور قد عُلم أن الرسول ﷺ جاء بها بالاضطرار، كما علم أنه جاء بالصلوات الخمس، وصوم شهر رمضان؛ فالتأويل الذي يحيلها عن هـٰذا بمنزلة تأويلات القرامطة والباطنية في الحج والصلاة والصوم، وسائر ما جاءت به النّبوات.

الرابع: أنْ يبين أنَّ العقل الصريح يوافق ما جاءت به النصوص، وإن كان في النصوص من التفصيل ما يعجز العقل عن دَرَك تفصيله، وإنّما عَقِلَه مجملا، إلىٰ غير ذلك من الوجوه، علىٰ أن الأساطين من هؤلاء والفحول معترفون بأنَّ العقل لا سبيل له إلىٰ اليقين في عامة المطالب الإلهية.

وإذا كان هكذا فالواجب تلقِّي علم ذلك من النبوات علىٰ ما هو عليه.

ومن المعلوم للمؤمنين أنّ الله تعالىٰ بعث محمدًا ﷺ بالهدىٰ ودين الحق ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٢٨﴾ [الفتح]، وأنه بيّن للناس ما أخبرهم به من أمور الإيمان

بالله واليوم الآخر.

والإيمان بالله واليوم الآخر يتضمَّن الإيمان بالمبدأ والمَعاد، وهو الإيمان بالخلق والبعث كما جمع بينهما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝٨﴾ [البقرة]، وقال تعالىٰ: ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ﴾ [لقمان:٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الروم:٢٧].

وقد بيَّن الله علىٰ لسان رسوله ﷺ من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر ما هدىٰ الله به عباده، وكشف به مُراده.

ومعلوم للمؤمنين أن رسول الله ﷺ أعلم من غيره بذلك، وأنصح من غيره للأمة، وأفصح من غيره عبارة وبيانًا؛ بل هو أعلم الخلق بذلك وأنصح الخلق للأمة وأفصحهم، فقد اجتمع في حقِّه كمال العلم والقدرة والإرادة.

ومعلوم أن المتكلم أو الفاعل إذا كمل علمه وقدرته وإرادته: كمُل كلامه وفعله، وإنما يدخل النقص إما من نقص علمه وإما من عجزه عن بيان علمه وإما لعدم إرادته البيان.

والرسول ﷺ هو الغاية في كمال العلم، والغاية في كمال إرادة البلاغ المبين، والغاية في [قدرته] علىٰ البلاغ المبين، ومع وجود القدرة التامة، والإرادة الجازمة: يجب وجود المراد، فعُلم قطعا أن ما بينه من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر حصل به مراده من البيان، وما أراده من البيان فهو مطابق لعلمه، وعلمه بذلك هو أكمل العلوم، فكل من ظن أن غير الرسول أعلم بهـٰذا منه، أو أكمل بيانا منه، أو أحرص علىٰ هَدي الخلق منه فهو من الملحدين لا من المؤمنين؛ والصحابة والتابعون لهم بإحسان ومن سلك سبيلهم هم في هـٰذا الباب علىٰ سبيل الاستقامة.

وأما المنحرفون عن طريقهم فهم ثلاث طوائف: أهل التخييل، وأهل التأويل، وأهل التجهيل.

فأهل التّخييل: هم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم من متكلّم ومتصوّف [ومتفقه]، فإنهم

يقولون: إن ما ذكره الرسول من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر إنما هو تخييلٌ للحقائق لينتفع به الجمهور، لا أنه بيّن به الحق، ولا هدىٰ به الخلق، ولا أوضح [به] الحقائق.

ثم هم علىٰ قسمين:

منهم من يقول: إن الرسول لم يعلم الحقائق علىٰ ما هي عليه. ويقولون: إن من الفلاسفة الإلهية من علمها، وكذلك من الأشخاص الذين يسمونهم أولياء من علمها، ويزعمون أن من الفلاسفة والأولياء من هو أعلم بالله واليوم الآخر من المرسلين. **وهـٰذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة والباطنية؛ باطنية الشيعة وباطنية الصوفية.**

ومنهم من يقول: بل الرسول علمها؛ لكن لم يبينها، وإنما تكلم بما يناقضها، وأراد من الخلق فهم ما يناقضها؛ لأن مصلحة الخلق في هـٰذه الاعتقادات التي لا تطابق الحق.

ويقول هؤلاء: يجب علىٰ الرسول أن يدعو الناس إلىٰ اعتقاد التجسيم مع أنه باطل، وإلىٰ اعتقاد معاد الأبدان مع أنه باطل، ويخبرهم بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون مع أن ذلك باطل. قالوا: لأنه لا يمكن دعوة الخلق إلا بهـٰذه الطريقة التي تتضمن الكذب لمصلحة العباد.

فهـٰذا قول هؤلاء في نصوص الإيمان بالله واليوم الآخر.

وأما الأعمال فمنهم من يقرها ومنهم من يجريها هـٰذا المجرىٰ، ويقول: إنما يؤمر بها بعض الناس دون بعض، ويؤمر بها العامة دون الخاصة، فهـٰذه طريقة الباطنية الملاحدة والإسماعيلية ونحوهم.

وأما أهل التأويل: فيقولون: إن النصوص الواردة في الصفات لم يُقصد بها الرسول أن يعتقد الناس الباطل؛ ولكن قصد بها معاني ولم يبيّن لهم تلك المعاني ولا دلهم عليها، ولكن أراد أن ينظروا فيعرفوا الحق بعقولهم، ثم يجتهدوا في صرف تلك النصوص عن مدلولها، ومقصودُه امتحانهم وتكليفهم وإتعاب أذهانهم وعقولهم في أن يصرفوا كلامه عن مدلوله ومقتضاه، ويعرف الحق من غير جهته، وهـٰذا قول المتكلِّمة [والجهمية] والمعتزلة ومن

دخل معهم في شيء من ذلك.

والذين قصدنا الرّد عليهم في هـٰذه الفتيا هم هؤلاء، إذ كان نفور الناس عن الأولين مشهورا، بخلاف هؤلاء فإنهم تظاهروا بنصر السنة في مواضع كثيرة، وهم في الحقيقة لا للإسلام نصروا ولا للفلاسفة كسروا؛ لكن أولئك الفلاسفة ألزموهم في نصوص المعاد نظير ما ادّعوه في نصوص الصّفات. فقالوا لهم: نحن نعلم بالاضطرار أن الرسل جاءت بمعاد الأبدان وقد علمنا فساد الشُّبه المانعة منه.

وأهل السنة يقولون لهم: ونحن نعلم بالاضطرار أن الرسل جاءت بإثبات الصفات، ونصوص الصفات في الكتب الإلهية أكثر وأعظم من نصوص المعاد، ويقولون لهم: معلوم أنّ مشركي العرب وغيرهم كانوا ينكرون المعاد، وقد أنكروه علىٰ الرسول وناظروه عليه، بخلاف الصفات فإنه لم ينكر شيئا منها أحد من العرب.

فعُلم أنَّ إقرار العقول بالصفات أعظم من إقرارها بالمعاد، وأن إنكار المعاد أعظم من إنكار الصفات، فكيف يجوز مع هـٰذا أن يكون ما أخبر به من الصفات ليس كما أخبر به، وما أخبر به من المعاد هو علىٰ ما أخبر به.

وأيضا: فقد علم أنه ﷺ قد ذم أهل الكتاب علىٰ ما حرفوه وبدلوه، ومعلوم أن التوراة مملوءة من ذكر الصفات، فلو كان هـٰذا مما بدّل وحرّف لكان انكار ذلك عليهم أولىٰ، فكيف وكانوا إذا ذكروا بين يديه الصفات يضحك تعجبا منهم وتصديقا لها، ولم يعبهم قط بما تعيب النفاة أهل الإثبات، مثل لفظ التجسيم والتشبيه ونحو ذلك؛ بل عابهم بقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ﴾ [المائدة:٦٤]، وقولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُۘ﴾ [آل عمران:١٨١]، وقولهم: إنه استراح لما خلق السمٰوات والأرض، فقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق].

والتوراة مملوءة من الصفات المطابقة للصفات المذكورة في القرآن والحديث، وليس فيها تصريح بالمعاد كما في القرآن. فإذا جاز أن نتأول الصفات التي اتفق عليها الكتابان

فتأويل المعاد الذي انفرد به أحدهما أولىٰ، والثاني مما يعلم بالاضطرار من دين الرسول أنه باطل، فالأول أولىٰ بالبطلان.

وأما الصنف الثالث وهم أهل التجهيل: فهم كثير من المنتسبين إلىٰ السّنة وأتباع السلف. يقولون: إن الرسول ﷺ لم يعرف معاني ما أنزل الله إليه من آيات الصفات ولا جبريل يعرف معاني تلك الآيات، ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك.

وكذلك قولهم في أحاديث الصفات: إن معناها لا يعلمه إلا الله، مع أنّ الرسول تكلم بها ابتداء، فعلىٰ قولهم تكلم بكلام لا يعرف معناه، وهؤلاء يظنون أنهم اتبعوا قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ [آل عمران:٧]، فإنه وقف أكثر السلف علىٰ قوله: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾، وهو وقفٌ صحيح، لكن لم يفرقوا بين معنىٰ الكلام وتفسيره، وبين التأويل الذي انفرد الله تعالىٰ بعلمه، وظنّوا أن التأويل المذكور في كلام الله تعالىٰ هو التأويل المذكور في كلام المتأخرين وغلطوا في ذلك.

فإن لفظ التأويل يراد به ثلاثة معانٍ:

فالتأويل في اصطلاح كثير من المتأخرين هو: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلىٰ الاحتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك، فلا يكون معنىٰ اللفظ الموافق لدلالة ظاهره تأويلا علىٰ اصطلاح هؤلاء.

وظنوا أن مراد الله تعالىٰ بلفظ التأويل ذلك، وأن للنصوص تأويلا يخالف مدلولها لا يعلمه إلا الله، ولا يعلمه المتأولون، ثم كثير من هؤلاء يقولون: تجري علىٰ ظاهرها فظاهرها مراد. مع قولهم: إن لها تأويلا بهـٰذا المعنىٰ لا يعلمه إلا الله. وهـٰذا تناقض وقع فيه كثير من هؤلاء المنتسبين إلىٰ السنة من أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم.

والمعنىٰ الثاني: أن التأويل هو تفسير الكلام سواء وافق ظاهره أو لم يوافقه، وهـٰذا هو التأويل في اصطلاح جمهور المفسرين وغيرهم، وهـٰذا التأويل يعلمه الراسخون في العلم، وهو موافق لوقف من وقف من السّلف علىٰ قوله: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي

ٱلۡعِلۡمِ﴾ [آل عمران:٧]، كما نقل ذلك عن ابن عباس ومجاهد ومحمد بن جعفر بن الزبير ومحمد بن إسحاق وابن قتيبة وغيرهم.

وكلا القولين حق باعتبار كما قد بسطناه في موضع آخر، ولهـٰذا نُقل عن ابن عباس هـٰذا وهـٰذا وكلاهما حق.

والمعنىٰ الثّالث: أنّ التأويل هو الحقيقة التي يؤول الكلام إليها، وإن وافقت ظاهره فتأويل ما أخبر الله به في الجنة من الأكل والشرب واللباس والنكاح وقيام الساعة وغير ذلك هو الحقائق الموجودة أنفسها، لا ما يتصور من معانيها في الأذهان، ويعبر عنه باللسان، وهـٰذا هو التأويل في لغة القرآن كما قال تعالىٰ عن يوسف أنه قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ﴾ [يوسف:١٠٠]، وقال تعالىٰ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ [الأعراف:٥٣]، وقال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء]، وهـٰذا التأويل هو الذي لا يعلمه إلّا الله.

فتأويل الصفات هو الحقيقة التي انفرد الله تعالىٰ بعلمها، وهو الكيف المجهول الذي قال فيه السلف كمالك وغيره: الاستواء معلوم والكيف مجهول. فالاستواء معلوم يُعلم معناه ويفسر ويترجم بلغة أخرىٰ وهو من التأويل الذي يعلمه الراسخون في العلم، وأما كيفية ذلك الاستواء فهو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالىٰ.

وقد روي عن ابن عباس ما ذكره عبد الرزاق وغيره في تفسيرهم عنه أنه قال: تفسير القرآن علىٰ أربعة أوجه:

تفسير تعرفه العرب من كلامها.

وتفسيرٌ لا يعذر أحد بجهالته.

وتفسير يعلمه العلماء.

وتفسيرٌ لا يعلمه إلا الله عَزَّوَجَلَّ فمن ادّعىٰ علمه فهو كاذب.

وهـٰذا كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة]، وقال النبي ﷺ: «**يقول الله تعالىٰ: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر**».

وكذلك علم الساعة ونحو ذلك، فهـٰذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالىٰ، وإن كنا نفهم معاني ما خوطبنا به ونفهم من الكلام ما قصد إفهامنا إياه كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾ [محمد]، وقال: ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ﴾ [المؤمنون:٦٨]، فأمر بتدبر القرآن كله لا بتدبر بعضه.

وقال أبو عبد الرحمـٰن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتىٰ يتعلموا ما فيها من العلم والعمل. قالوا: فتعلّمنا القرآن والعلم والعمل جميعا.

وقال مجاهد: عرضت المصحف علىٰ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من فاتحته إلىٰ خاتمته، أقف عند كل آية وأسأله عنها.

وقال الشعبي: ما ابتدع أحد بدعة إلا وفي كتاب الله بيانها.

وقال مسروق: ما سئل أصحاب محمد عن شيء إلا وعلمه في القرآن؛ ولكن علمنا قصر عنه.

وهـٰذا باب واسع قد بسط في موضعه.

والمقصود هنا التنبيه علىٰ أصول المقالات الفاسدة التي أوجبت الضلالة في باب العلم والإيمان بما جاء به الرسول ﷺ، وأن من جعل الرسول غير عالم بمعاني القرآن الذي أنزل إليه، ولا جبريل جعله غير عالم بالسّمعيات، ولم يجعل القرآن هدًىٰ ولا بيانًا للناس.

ثم هؤلاء ينكرون العقليات في هـٰذا الباب بالكُلّية فلا يجعلون عند الرسول وأمّته في باب معرفة الله عَزَّوَجَلَّ لا علومًا عقلية ولا سمعية، وهم قد شاركوا الملاحدة في هـٰذه من وجوه متعددة، وهم مخطئون فيما نسبوا إلىٰ الرسول ﷺ وإلىٰ السلف من الجهل، كما أخطأ في

ذلك أهل التحريف والتأويلات الفاسدة وسائر أصناف الملاحدة.

ونحن نذكر من ألفاظ السلف بأعيانها، وألفاظ من نقل مذهبهم إلىٰ غير ذلك من الوجوه بحسب ما يحتمله هـٰذا الموضع ما يعلم به مذهبهم.

روىٰ أبو بكر البيهقي في الأسماء والصفات بإسناد صحيح عن الأوزاعي قال: كنا والتابعون متوافرون نقول: إنّ الله –تعالىٰ ذكره– فوق عرشه ونؤمن بما وردت فيه السنة من صفاته.

وقد حكىٰ الأوزاعيّ –وهو أحد الأئمة الأربعة في عصر تابع التابعين الذين هم: مالك إمام أهل الحجاز، والأوزاعي إمام أهل الشام، والليث إمام أهل مصر، والثوري إمام أهل العراق– حكىٰ شهرة القول في زمن التابعين بالإيمان بأن الله تعالىٰ فوق العرش، وبصفاته السمعية.

[وإنما قال الأوزاعي: هـٰذا بعد ظهور مذهب جهم المُنكِر لكون الله فوق عرشه، والنافي لصفاته، ليعرف الناس أن مذهب السلف خلاف ذلك.]

وروىٰ أبو بكر الخلال في كتاب «السنة» عن الأوزاعي قال: سئل مكحول والزهري عن تفسير الأحاديث فقالا: أمرُّوها كما جاءت.

وروىٰ أيضا عن الوليد بن مسلم قال: سألتُ مالك بن أنس وسفيان الثوري، والليث بن سعد، والأوزاعي عن الأخبار التي جاءت في الصفات، فقالوا: أمروها كما جاءت. وفي رواية. فقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف.

فقولهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أمروها كما جاءت، رد علىٰ المعطلة، وقولهم بلا كيف، رد علىٰ الممثلة، والزهري ومكحول هما أعلم التابعين في زمانهم، والأربعة الباقون هم أئمة الدنيا في عصر تابعي التابعين، ومن طبقتهم حماد بن زيد وحماد بن سلمة وأمثالهما.

وروىٰ أبو القاسم الأزجي بإسناده عن مطرِّف بن عبد الله قال: سمعتُ مالك بن أنس إذا ذكر عنده من يدفع أحاديث الصفات يقول: قال عمر بن عبد العزيز: سنَّ رسول الله ﷺ

وولاة الأمر بعده سُننا، الأخذ بها تصديقٌ لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة علىٰ دين الله، ليس لأحد من خلق الله تعالىٰ تغييرُها ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدىٰ بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن خالفها واتَّبع غير سبيل المؤمنين ولّاه الله ما تولىٰ وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا.

وروىٰ الخلال بإسناد كلهم أئمة ثقات عن سفيان بن عيينة قال: سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمـٰن عن قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَـٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه] كيف استوىٰ؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرِّسالة وعلىٰ الرسول البلاغ المبين، وعلينا التَّصديق.

وهـٰذا الكلام مرويٌّ عن مالك بن أنس تلميذ ربيعة ابن أبي عبد الرحمـٰن من غير وجه.

منها ما رواه أبو الشيخ الأصبهاني وأبو بكر البيهقي عن يحيىٰ بن يحيىٰ، قال: كنا عند مالك بن أنس، فجاء رجل فقال: يا أبا عبد الله ﴿ٱلرَّحۡمَـٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه] كيف استوىٰ؟ فأطرق مالكٌ برأسه حتىٰ علاه الرُّحَضَاء، ثم قال: **الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة**، وما أراك إلا مبتدعًا. فأمر به أن يخرج. اهـ

فقول ربيعة ومالك: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، [والإيمان به واجب]، موافق لقول الباقين: أمرُّوها كما جاءت بلا كيف، فإنما نَفَوا علم الكيفية، ولم ينفوا حقيقة الصِّفة.

ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرَّد من غير فهم لمعناه علىٰ ما يليق بالله لما قالوا: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ولما قالوا: أمرُّوها كما جاءت بلا كيف، فإنَّ الاستواء حينئذ لا يكون معلومًا؛ بل مجهولا بمنزلة حروف المعجم.

وأيضا فإنه لا يحتاج إلىٰ نفي علم الكيفية، إذا لم يُفهم من اللفظ معنىٰ، وإنما يحتاج إلىٰ نفي علم الكيفية إذا أثبتت الصفات.

وأيضًا فإن من ينفي الصفات الخبرية، أو الصفات مطلقا لا يحتاج إلىٰ أن يقول: بلا كيفٍ، فمن قال: إنَّ الله ليس علىٰ العرش، لا يحتاج أن يقول: بلا كيفٍ، فلو كان من مذهب السَّلف: نفي الصفات في نفس الأمر لما قالوا: بلا كيف.

وأيضا فقولهم: أمرّوها كما جاءت. يقتضي إبقاء دلالتها علىٰ ما هي عليه، فإنّها جاءت ألفاظ دالة علىٰ معاني؛ فلو كانت دلالتها منتفيةً لكان الواجب أن يقال: أمرُّوا ألفاظها مع اعتقاد أنَّ المفهوم منها غير مراد، أو أمروا ألفاظها مع اعتقاد أنَّ الله لا يوصف بما دلَّت عليه حقيقة، وحينئذ فلا تكون قد أمرت كما جاءت، ولا يقال حينئذٍ: بلا كيف، إذْ نفي الكيف عمّا ليس بثابتٍ لغوٍ من القول.

وروىٰ الأثرم في «السنة»، وأبو عبد الله بن بطة في «الإبانة»، وأبو عمرو الطلمنكي وغيرهم بإسناد صحيح عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون -وهو أحد أئمة المدينة الثلاثة الذين هم: مالك بن أنس، وابن الماجشون، وابن أبي ذئب- وقد سُئل عمّا جحدت به الجهمية:

«أما بعد؛ فقد فهمتُ ما سألتَ فيما [تتابعت] الجهمية ومن [خَلفَها]، في صفة الرّب العظيم الذي فاقت عظمته الوصف والتدبر، وكلت الألسن عن تفسير صفته، [وانحسرت] العقول دون معرفة قدرته، وردت عظمتَه العقولُ فلم تجد مساغا فرجعت خاسئة وهي حسيرة، وإنما أمروا بالنظر والتفكر فيما خلق بالتقدير، وإنما يقال: كيف، لمن لم يكن مرة ثم كان، فأما الذي لا يحول ولا يزول، ولم يزل، وليس له مثل، فإنه لا يُعلم كيف هو إلا هو، وكيف يُعرف قدر من لم يبدأ ومن لا يموت ولا يبلىٰ، وكيف يكون لصفة شيء منه حدٌّ أو منتهىٰ، يعرفه عارف أو يحد قدْرَه واصفٌ علىٰ أنه الحق المبين لا حق أحقّ منه، ولا شيء أبين منه.

الدليل علىٰ عجز العقول عن تحقيق صفته عجزُها عن تحقيق صفة أصغر خلقه، لا تكاد تراه صِغرا يجول ويزول، ولا يُرىٰ له سمع ولا بصر؛ لما يتقلب به ويحتال من عقله، أعضل

بك وأخفىٰ عليك ممّا ظهر من سمعه وبصره فتبارك الله أحسنُ الخالقين، وخالقهم وسيد السادة وربهم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ].

اعرف -رحمك الله- غِناك عن تكلّف صفة ما لم يصف الرب من نفسه بعجزك عن معرفة قدر ما وصف منها؛ إذا لم تعرف قدر ما وصف، فما تكلفك علمَ ما لم يصف، هل تستدل بذلك علىٰ شيء من طاعته أو تزدجر به عن شيء من معصيته؟

فأما الذي جحد ما وصف الربُّ من نفسه تعمقا وتكلفا فقد ﴿ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ [الأنعام:٧١]، فصار يستدلُّ بزعمه علىٰ جحد ما وصف الرب وسمَّىٰ من نفسه بأن قال: لابد إن كان له كذا من أن يكون له كذا، فعمِي عن البيّن بالخفي، فجحد ما سمىٰ الرّب من نفسه، بصمت الربِّ عمّا لم يسمِّ منها، فلم يزل يملي له الشيطان حتىٰ جحد قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة]، فقال: لا يراه أحد يوم القيامة، فجحد والله أفضلَ كرامةِ الله التي أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر إلىٰ وجهه، ونضرته إياهم ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر].

وقد قضىٰ أنهم لا يموتون فهم بالنظر إليه ينضرون، إلىٰ إن قال: وإنما جحد رؤية الله يوم القيامة إقامة للحجة الضالة المضلة؛ لأنه قد عرف أنه إذا تجلّىٰ لهم يوم القيامة رأوا منه ما كانوا به قبل ذلك مؤمنين، وكان له جاحدًا.

وقال المسلمون: يا رسول الله؛ هل نرىٰ ربّنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هل تضارّون في رؤية الشّمس ليس دونها سحاب؟**» قالوا: لا. قال: «**فهل تضارُّون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟**» قالوا: لا. قال: «**فإنّكم ترون ربّكم يومئذ كذلك**».

وقال رسول الله ﷺ: «**لا تمتلئ النّار حتىٰ يضع الجبَّار فيها قدمه، فتقول: قط قط، وينزوي بعضها إلىٰ بعض**».

وقال لثابت بن قيس: «**لقد ضحك الله مما فعلت بضيفك البارحة**».

وقال فيما بلغنا: «**إنَّ الله تعالىٰ ليضحك من أزلِكم وقنوطكم وسرعة إجابتكم**» فقال له

رجل من العرب: إن ربنا ليضحك؟ قال: «نعم»، قال: لا نُعْدَمُ من رب يضحك خيرًا. في أشباه لهـٰذا مما لا نحصيه.

وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ]، ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه]، وقال تعالىٰ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر].

فوالله ما دلَّهم علىٰ عظم ما وصفه من نفسه وما تحيط به قبضته إلا صغر نظيرها منهم عندهم، إن ذلك الذي أُلقي في رُوعهم، وخلق علىٰ معرفة قلوبهم فما وصف الله من نفسه وسمّاه علىٰ لسان رسوله ﷺ سمَّيناه كما سمّاه، ولم نتكلف منه صفة ما سواه -لا هـٰذا ولا هـٰذا- لا نجحد ما وصف ولا نتكلف معرفة ما لم يصف.

اعلم -رحمك الله- أنَّ العصمة في الدِّين أن تنتهيَ في الدِّين حيث انتهىٰ بك، ولا تجاوِز ما قد حُدَّ لك، فإن من قوام الدِّين معرفة المعروف وإنكار المنكر، فما بُسطت عليه المعرفة وسكنت إليه الأفئدة وذكر أصله في الكتاب والسنة وتوارثَت علمه الأمة، فلا تخافنَّ في ذكره وصفته من ربِّك ما وصف من نفسه عيبًا، ولا تتكلَّفن بما وصف لك من ذلك قدْرا.

وما أنكرته نفسك، ولم تجد ذكره في كتاب ربِّك ولا في حديثٍ عن نبيِّك -من ذكر صفة ربك- فلا تكلفن علمه بعقلك، ولا تصفه بلسانك واصمت عنه كما صمت الرَّب عنه من نفسه، فإن تكلُّفك معرفة ما لم يصف من نفسه مثل: إنكار ما وصف منها، فكما أعظمْت ما جحده الجاحدون مما وصف من نفسه، فكذلك أعظم تكلف ما وصف الواصفون ممَّا لم يصف منها.

فقد والله عزَّ المسلمون الذين يعرفون المعروف وبهم يُعرف، وينكرون المنكر وبإنكارهم يُنكر، يسمعون ما وصف الله به نفسه من هـٰذا في كتابه، وما بلغهم مثله عن نبيه، فما مرض من ذكر هـٰذا وتسميته قلبٌ مسلم، ولا تكلف صفة قدره ولا تسمية غيره من الرب مؤمن.

وما ذكر عن الرسول ﷺ أنه سماه من صفة ربه فهو بمنزلة ما سمىٰ وما وصف الرب تعالىٰ من نفسه.

والراسخون في العلم -الواقفون حيث انتهىٰ علمهم، الواصفون لربهم بما وصف من نفسه، التاركون لما ترك من ذكرها- لا ينكرون صفة ما سمىٰ منها جحدا، ولا يتكلفون وصفه بما لم يسمِّ تعمقا؛ لأن الحق ترك ما ترك وتسمية ما سمىٰ، ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء]. وهب الله لنا ولكم حكما وألحقنا بالصالحين» اهـ.

وهـٰذا كله كلام ابن الماجشون الإمام فتدبره، وانظر كيف أثبت الصفات ونفىٰ علم الكيفية موافقة لغيره من الأئمة، وكيف أنكر علىٰ من نفىٰ الصفات بأنه يلزمهم من إثباتها كذا وكذا كما تقوله الجهمية: أنه يلزم أن يكون جسمًا أو عَرَضًا فيكون محدَثًا.

وفي كتاب «الفقه الأكبر» المشهور عند أصحاب أبي حنيفة، الذي رووه بالإسناد عن أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي، قال: سألت أبا حنيفة عن الفقه الأكبر؟ فقال: لا تكفِّرن أحدا بذنب، ولا تنف أحدا به من الإيمان، وتأمر بالمعروف وتنهىٰ عن المنكر، وتعلم أنّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولا تتبرّأ من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، ولا تُوالي أحدا دون أحد، وأن ترد أمر عثمان وعلي إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

قال أبو حنيفة: الفقه الأكبر في الدِّين خير من الفقه في العلم، ولأَنْ يفقه الرجلُ كيف يعبد ربّه خير له من أن يجمع العلمَ الكثير.

قال أبو مطيع الحكم بن عبد الله: قلت: أخبرني عن أفضل الفقه، قال: تعلُّم الرجل الإيمان، والشرائع والسّنن، والحدود، واختلاف الأئمة، وذَكَرَ مسائل الإيمان، ثم ذكر مسائل القدر، والرد علىٰ القدرية بكلامٍ حسن ليس هـٰذا موضعَه.

ثم قال: قلتُ: فما تقول فيمن يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر فيتبعه علىٰ ذلك أناس فيخرج علىٰ الجماعة، هل ترىٰ ذلك؟ قال: لا. قلتُ: ولم؟ قال: أمر الله ورسوله بالأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر وهو فريضةٌ واجبة؟ قال: هو كذلك؛ لكن ما يفسدون أكثر مما يصلحون من سفْك الدماء واستحلال الحرام.

قال: وذكر الكلام في قتال الخوارج والبغاة إلىٰ أن قال: قال أبو حنيفة عمن قال لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض: فقد كفر؛ لأن الله يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه] وعرشه فوق سبع سماوات.

قلتُ: فإن قال: إنه علىٰ العرش استوىٰ، ولكنه يقول: لا أدري العرش في السماء أم في الأرض؟ قال: هو كافر؛ لأنه أنكر أن يكون في السماء؛ لأنه تعالىٰ في أعلىٰ عليين، وأنه يدعىٰ من أعلىٰ لا من أسفل.

وفي لفظ: سألتُ أبا حنيفة عمّن يقول: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض قال: قد كفر. قال: لأن الله يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، وعرشه فوق سبع سماوات، قال: فإنه يقول: علىٰ العرش استوىٰ؛ ولكن لا يدري العرش في الأرض أو في السماء، قال: إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر.

ففي هـٰذا الكلام المشهور عن أبي حنيفة عند أصحابه أنه كفَّر الواقف الذي يقول: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض؛ فكيف يكون الجاحد النافي الذي يقول: ليس في السماء أو ليس في السماء ولا في الأرض، واحتج علىٰ كفره بقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، قال: وعرشه فوق سبع سماوات.

وبيّن بهـٰذا أنّ قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ يبين أن الله فوق السمٰوات، فوق العرش، وأن الاستواء علىٰ العرش دلّ علىٰ أنّ الله بنفسه فوق العرش.

ثم أنه أردف ذلك بتكفير من قال: إنه علىٰ العرش استوىٰ؛ ولكن توقف في كون العرش في السماء أم في الأرض، قال: لأنه أنكر أنه في السماء؛ لأن الله في أعلىٰ عليين، وأنه يدعىٰ من أعلىٰ لا من أسفل.

وهـٰذا تصريحٌ من أبي حنيفة بتكفير من أنكر أن يكون الله في السماء، واحتج علىٰ ذلك بأن

الله في أعلىٰ عليين وأنه يدعىٰ من أعلىٰ لا من أسفل، وكل من هاتين الحجتين فطرية عقلية، فإن القلوب مفطورة علىٰ الإقرار بأن الله في العلو، وعلىٰ أنه يدعىٰ من أعلىٰ لا من أسفل، وقد جاء اللفظ الآخر صريحًا عنه بذلك فقال: إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر.

وروىٰ هـٰذا اللفظ بإسناد عنه شيخُ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري الهروي في كتاب «الفاروق»، وروىٰ أيضا ابن أبي حاتم أن هشام بن عبيد الله الرازي -صاحب محمد بن الحسن، قاضي الرّي- حبس رجلا في التجهّم، فتاب فجيء به إلىٰ هشام ليُطلقه فقال: الحمد لله علىٰ التوبة، فامتحنه هشام فقال: أتشهد أن الله علىٰ عرشه بائن من خلقه؟ فقال: أشهد أن الله علىٰ عرشه، ولا أدري ما بائن من خلقه، فقال: ردوه إلىٰ الحبس فإنه لم يتُب.

وروىٰ أيضا عن يحيىٰ بن معاذ الرازي أنه قال: إنّ الله علىٰ العرش بائن من الخلق، وقد أحاط بكل شيء علما، وأحصىٰ كل شيء عددا، لا يشك في هـٰذه المقالة إلا جهمي رديء ضِلِّيل وهالك مرتاب، يمزج الله بخلقه ويخلط منه الذات بالأقذار والأنتان.

وروىٰ أيضا عن ابن المديني لما سئل ما قول أهل الجماعة قال: يؤمنون بالرؤية والكلام. وأن الله فوق السَّمٰوات علىٰ العرش استوىٰ، فسئل عن قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة:٧]، فقال اقرأ ما قبلها: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المجادلة:٧].

وروىٰ أيضا عن أبي عيسىٰ الترمذي قال: هو علىٰ العرش كما وصف في كتابه، وعلمه وقدرته وسلطانه في كل مكان.

وروىٰ عن أبي زرعة الرازي أنه لما سئل عن تفسير قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، فقال تفسيره كما يقرأ: هو علىٰ العرش وعلمه في كل مكان، ومن قال غير هـٰذا فعليه لعنة الله.

وروىٰ أبو القاسم اللالكائي الحافظ الطبري -صاحب أبي حامد الإسفراييني- في كتابه المشهور في «أصول السنة» بإسناده عن محمد بن الحسن -صاحب أبي حنيفة- قال: اتفق

الفقهاء كلهم من المشرق إلىٰ المغرب علىٰ الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عَزَّوَجَلَّ من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسَّر اليوم شيئا منها فقد خرج ممّا كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة، فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا، ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا، فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة؛ لأنه قد وصفه بصفة لا شيء.

محمد بن الحسن أخذ عن أبي حنيفة ومالك وطبقتهما من العلماء، وقد حكىٰ هـٰذا الإجماع، وأخبر أن الجهمية تصفه بالأمور السلبية غالبا أو دائما، وقوله: (من غير تفسير) أراد به تفسير الجهمية المعطلة الذين ابتدعوا تفسير الصفات بخلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون من الإثبات.

وروىٰ البيهقي وغيره بإسانيد صحيحة عن أبي عبيد القاسم بن سلاّم قال: هـٰذه الأحاديث التي يقول فيها «ضحِك ربُّنا من قنوط عباده وقرب غِيَرِه»، و«إنَّ جهنم لا تمتلئ حتىٰ يضع ربك فيها قدمه»، و«الكرسي موضع القدمين»، وهـٰذه الأحاديث في الرؤية هي عندنا حق حملها الثقات بعضهم عن بعض؛ غير أنّا إذا سئلنا عن تفسيرها لا نفسرها، وما أدركْنا أحدا يفسرها.

أبو عبيد أحد الأئمة الأربعة الذين هم: الشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأبو عبيد، وله من المعرفة بالفقه واللغة والتأويل ما هو أشهر من أن يوصف، وقد كان في الزمان الذي ظهرت فيه الفتن والأهواء، وقد أخبر أنه ما أدرك أحدًا من العلماء يفسرها -أي: تفسير الجهمية.

وروىٰ اللالكائي والبيهقي بإسنادهما عن عبد الله بن المبارك أن رجلا قال له: يا أبا عبد الرحمـٰن أني أكره الصفة -عني صفة الرب-. فقال له: عبد الله بن المبارك وأنا أشد الناس كراهية لذلك، ولكن إذا نطق الكتاب بشيء قلنا به، وإذا جاءت الآثار بشيء جسرنا عليه ونحو هـٰذا.

أراد ابن المبارك أنا نكره أن نبتدئ بوصف الله من [تلقاء] أنفسنا حتىٰ يجيء به الكتاب

والآثار.

وروىٰ عبد الله بن أحمد وغيره بأسانيد صحاح عن ابن المبارك أنه قيل له: بماذا نعرف ربنا؟ قال: بأنه فوق سماواته علىٰ عرشه بائن من خلقه، ولا نقول كما تقول الجهمية: أنه هاهنا في الأرض. وهكذا قال الإمام أحمد وغيره.

وروىٰ بإسناد صحيح عن سليمان بن حرب الإمام، سمعت حماد بن زيد وذكر هؤلاء الجهمية فقال: إنما يحاولون أن يقولوا: ليس في السماء شيء.

وروىٰ ابن أبي حاتم في كتاب «الرد علىٰ الجهمية» عن سعيد بن عامر الضبعي -إمام أهل البصرة علما ودينا من شيوخ الإمام أحمد- أنه ذكر عنده الجهمية فقال: هم أشر قولا من اليهود والنصارىٰ، وقد أجمع اليهود والنصارىٰ وأهل الأديان مع المسلمين علىٰ أن الله علىٰ العرش، وهم قالوا: ليس علىٰ شيء.

وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة إمام الأئمة: من لم يقل: إن الله فوق سماواته علىٰ عرشه بائن من خلقه وجب أن يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه، ثم ألقي علىٰ مزبلة لئلا يتأذىٰ بنتن ريحه أهل القبلة، ولا أهل الذمة. ذكره عنه الحاكم بإسناد صحيح.

وروىٰ عبد الله ابن الإمام أحمد بإسناده عن عباد بن العوام الواسطي -إمام أهل واسط من طبقة شيوخ الشافعي وأحمد- قال: كلمتُ بشرا المريسي، وأصحاب بشر فرأيت آخر كلامهم ينتهي أن يقولوا: ليس في السماء شيء.

وعن عبد الرحمٰن بن مهدىٰ الإمام المشهور أنه قال: ليس في أصحاب الأهواء شر من أصحاب جهم، يدورون علىٰ أن يقولوا: ليس في السماء شيء، أرىٰ والله ألَّا يناكحوا ولا يوارثوا.

وروىٰ عبد الرحمٰن بن أبي حاتم في كتاب «الرد علىٰ الجهمية» عن عبد الرحمٰن بن مهدىٰ قال: أصحاب جهم يريدون أن يقولوا: إن الله لم يكلم موسىٰ، ويريدون أن يقولوا: ليس في السماء شيء، وإن الله ليس علىٰ العرش. أرىٰ أن يستتابوا فإن تابوا وإلا قتلوا.

وعن الأصمعي، قال: قدمت امرأة جهم فنزلت بالدباغين، فقال رجل عندها: الله علىٰ عرشه، فقالت: محدود علىٰ محدود، فقال الأصمعي: كفرت بهـٰذه المقالة.

وعن عاصم بن علي بن عاصم -شيخ أحمد والبخاري وطبقتهما- قال: ناظرت جهميًا فتبين من كلامه أنه لا يؤمن أنّ في السماء ربًّا.

وروىٰ الإمام أحمد ابن حنبل الشيباني قال: أخبرنا سريج بن النعمان، قال: سمعت عبد الله بن نافع الصائغ قال: سمعت مالك بن أنس يقول: الله في السماء، وعلمه في كل مكان لا يخلو من علمه مكان.

وقال الشافعي: خلافة أبي بكر الصديق حقّ قضاه الله في سمائه وجمع عليه قلوب عباده.

وفي الصحيح عن أنس بن مالك قال: كانت زينب تفتخر علىٰ أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات. وهـٰذا مثل قول الشافعي.

وقصة أبي يوسف -صاحب أبي حنيفة- مشهورة في استتابة بشر المريسي حتىٰ هرب منه لما أنكر الصفات وأظهر قول جهم. قد ذكرها بن أبي حاتم وغيره.

وقال أبو عبد الله محمد بن أبي زَمَنِين -الإمام المشهور من أئمة المالكية- في كتابه الذي صنفه في أصول السنة قال فيه: باب الإيمان بالعرش.

قال: ومن قول أهل السنة: أن الله عَزَّوَجَلَّ خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق ثم استوىٰ عليه كيف شاء، كما أخبر عن نفسه في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحديد:٤] الآية.

فسبحان من بعد وقرب بعلمه، فسمع النجوىٰ، وذكر حديث أبي رزين العقيلي؛ قلتُ: يا رسول الله: أين كان ربنا قبل أن يخلق السمٰوات والأرض؟ قال: «**في عَمَاء؛ ما تحته هواء وما فوقه هواء، ثم خلق عرشه علىٰ الماء**» قال محمد: العماء السحاب الكثيف المُطْبِق -فيما ذكره الخليل- وذكر آثارًا أخر.

ثم قال: باب الإيمان بالكرسي. قال محمد بن عبد الله: ومن قول أهل السنة أن الكرسي بين يدي العرش، وأنه موضع القدمين. ثم ذكر حديث أنس الذي فيه التجلي يوم الجمعة في الآخرة، وفيه فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين علىٰ كرسيه، ثم يحف الكرسي علىٰ منابر من ذهب مكللة بالجواهر، ثم يجيء النبيون فيجلسون عليها.

وذكر ما ذكره يحيىٰ بن سلام صاحب التفسير المشهور: حدثني المعلا بن هلال، عن عمار الدهني، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إن الكرسي الذي وسع السمٰوات والأرض وموضع القدمين، ولا يعلم قدر العرش إلا الذي خلقه.

وذكر من حديث أسد بن موسىٰ، ثنا حماد بن سلمة، [عن عاصم،] عن زر، عن ابن مسعود، قال: ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السّماء السّابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه.

ثم قال: في باب الإيمان بالحجب، قال: ومن قول أهل السنة: إن الله بائن من خلقه يحتجب عنهم بالحجب فتعالىٰ الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾ [الكهف]، وذكر آثارا في الحجب.

ثم قال: في باب الإيمان بالنزول، قال: ومن قول أهل السنة: إن الله ينزل إلىٰ سماء الدنيا، ويؤمنون بذلك من غير أن يحدّوا فيه حدًّا، وذكر الحديث من طريق مالك وغيره. إلىٰ أن قال: وأخبرني وهب، عن ابن وضاح، عن الزهري، عن ابن عباد قال: ومن أدركتُ من المشايخ -مالك وسفيان وفضيل بن عياض وعيسىٰ وابن المبارك ووكيع- كانوا يقولون: إنّ النزول حق.

قال ابن وضاح: وسألت يوسف بن عدي عن النزول، قال: نعم. أومن به ولا أحد فيه حدا. وسألت عنه ابن معين، فقال: نعم أُقِرُّ به ولا أحد فيه حدا.

قال محمد: وهـٰذا الحديث يبين أن الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ العرش في السّماء دون الأرض، وهو

أيضا بيّن في كتاب الله وفيما غير حديث عن رسول الله ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة]، وقال تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾ [الملك]، وقال تعالىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[فاطر:١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨ و٦١]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران:٥٥]، وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء:١٥٨].

وذكر من طريق مالك قول النبي ﷺ للجارية: «**أين الله؟**» قالت: في السماء. قال: «**من أنا؟**» قالت: أنت رسول الله. قال: «**فأعتقها**».

قال: والأحاديث مثل هـٰذا كثيرة جدا، فسبحان من علمه بما في السماء كعلمه بما في الأرض، لا إلـٰه إلا هو العلي العظيم.

وقال قبل ذلك: باب في الإيمان بصفات الله تعالىٰ وأسمائه، قال: واعلم بأن أهل العلم بالله وبما جاءت به أنبياؤه ورسله، يرون الجهل بما لم يخبر به عن نفسه علما، والعجز عما لم يدع إليه إيمانًا، وأنهم إنّما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلىٰ حيث انتهىٰ في كتابه، وعلىٰ لسان نبيه.

وقد قال -وهو أصدق القائلين-: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨]، وقال: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام:١٩]، وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران:٢٨ و٣٠]، وقال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر:٢٩]، وقال ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨]، وقال: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه]، وقال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، وقال: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر:٦٧]، وقال: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه]، وقال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور:٣٥] الآية،

وقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة:٢٥٥] الآية، وقال: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ [الحديد:٣]، ومثل هـٰذا في القرآن كثير.

فهو تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نور السّمٰوات والأرض، كما أخبر عن نفسه، وله وجهٌ ونفس وغير ذلك مما وصف به نفسه، ويسمع ويرىٰ ويتكلّم، هو الأوّل لا شيء قبله، والآخر الباقي إلىٰ غير نهاية ولا شيء بعده، والظّاهر العالي فوق كلّ شيء والباطن بَطُنَ علمُه بخلقه فقال: وهو بكل شيء عليم، حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم.

وذكر أحاديث الصفات ثم قال: فهـٰذه صفات ربنا التي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه بها نبيّه، وليس في شيء منها تحديد ولا تشبيه ولا تقدير، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورىٰ]، لم تره العيون فتحدَّه كيف هو، ولكن رأته القلوب في حقائق الإيمان. ا.هـ

وكلام الأئمة في هـٰذا الباب أطول وأكثر من أن تسع هـٰذه الفتيا عُشره، وكذلك كلام الناقلين لمذهبهم.

مثل ما ذكره أبو سليمان الخطَّابي في رسالته المشهورة في «الغنية عن الكلام وأهله»، قال: فأما ما سألت عنه من الصفات وما جاء منها في الكتاب والسنة. فإن مذهب السلف إثباتها وإجراؤها علىٰ ظواهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها، وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله، وحققها قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك إلىٰ ضربٍ من التشبيه والتكييف، وإنما القصد في سلوك الطريقة المُستقيمة بين الأمرين، ودين الله تعالىٰ بين الغالي فيه والجافي والمقصّر عنه.

والأصل في هـٰذا: أن الكلام في الصِّفات فرع علىٰ الكلام في الذات، ويُحتذا في ذلك حذوه وأمثاله. فإذا كان معلومًا أن إثبات الباري سبحانه إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف.

فإذا قلنا: يد وسمع وبصر وما أشبهها، فإنما هي صفات أثبتها الله لنفسه، ولسنا نقول: أن معنىٰ اليد القوة أو النعمة، ولا معنىٰ السمع والبصر العلم، ولا نقول: إنها جوارح، ولا

نشبهها بالأيدي وبالأسماع وبالأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل، ونقول: إن القول إنما وجب بإثبات الصفات؛ لأن التوقيف ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنها؛ لأن الله ليس كمثله شيء، وعلىٰ هـٰذا جرىٰ قول السلف في أحاديث الصِّفات. هـٰذا كله كلام الخطابي.

وهكذا قاله أبو بكر الخطيب الحافظ في رسالة له أخبر فيها أن مذهب السَّلف علىٰ ذلك.

وهـٰذا الكلام الذي ذكره الخطّابي قد نقل نحوًا منه من العلماء من لا يُحصىٰ عددهم مثل أبي بكر الإسماعيلي، والإمام يحيىٰ بن عمار السّجزي، وشيخ الإسلام أبي إسماعيل الهروي، صاحب «منازل السائرين وذم الكلام» وهو أشهر من أن يوصف، وشيخ الإسلام أبي عثمان الصابوني، وأبي عمر ابن عبد البر النمري إمام المغرب، وغيرهم.

وقال أبو نعيم الأصبهاني صاحب «الحلية» في عقيدة له قال في أولها: طريقتنا طريقة المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة؛ قال: فمما اعتقدوه أنّ الأحاديث التي ثبتت عن النبي ﷺ في العرش واستواء الله يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه، وإنَّ الله بائن من خلقه، والخلق بائنون منه، لا يحلُّ فيهم ولا يمتزج بهم، وهو مستوٍ علىٰ عرشه في سمائه دون أرضه وخلقه.

وقال الحافظ أبو نعيم في كتابه «محجة الواثقين ومَدرجة الوامقين» تأليفه: وأجمعوا أنّ الله فوق سماواته عالٍ علىٰ عرشه مستوٍ عليه، لا مستولٍ عليه كما تقول الجهمية: إنه بكل مكان خلافا لما نزل في كتابه ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦]، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠]، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، له العرش المستوي عليه والكرسي الذي وسع السَّمٰوات والأرض، وهو قوله: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وكرسيه جسم، والأرضون السبع والسَّمٰوات السبع عند الكرسي كحلقة في أرض فلاة، وليس كرسيه علمه كما قالت الجهمية؛ بل يوضع كرسيه يوم القيامة لفصل القضاء بين خلقه، كما قاله النبيُّ ﷺ، وأنه تعالىٰ وتقدس يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده والملائكة صفًّا صفا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ۝٢٢﴾ [الفجر]، وزاد

النبي ﷺ وأنه تعالىٰ وتقدس يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده فيغفر لمن يشاء من مذنبي الموحِّدين، ويعذب من يشاء. كما قال تعالىٰ: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ﴾ [آل عمران:١٢٩، المائدة:١٨، الفتح:١٤].

وقال الإمام العارف معمر بن أحمد الأصبهاني -شيخ الصوفية في حدود المائة الرابعة في بلاده- قال: أحببت أن أوصي أصحابي بوصية من السنة وموعظة من الحكمة، وأجمع ما كان عليه أهل الحديث والأثر بلا كيف وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين.

قال فيها: وأن الله استوىٰ علىٰ عرشه بلا كيف، ولا تشبيه، ولا تأويل، والاستواء معقول والكيف فيه مجهول، وأنه عَزَّوَجَلَّ مستوٍ علىٰ عرشه بائن من خلقه، والخلق منه بائنون، بلا حلول ولا ممازجة، ولا اختلاط ولا ملاصقة؛ لأنه المنفرد البائن من الخلق، الواحد الغني عن الخلق، وأنّ الله عَزَّوَجَلَّ سميع، بصير، عليم، خبير، يتكلم، ويرضىٰ ويسخط، ويضحك، ويعجب، ويتجلّىٰ لعباده يوم القيامة ضاحكًا، وينزل كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا كيف شاء، فيقول: «**هل من داع فاستجيبَ له؟ هل من مستغفر فاغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه**؟» حتىٰ يطلع الفجر، ونزول الرب إلىٰ السماء بلا كيف ولا تشبيه، ولا تأويل، فمن أنكر النزول أو تأول فهو مبتدع ضال، وسائر الصفوة من العارفين علىٰ هـٰذا. ا.هـ

وقال الشيخ الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال في كتاب «السنة»: ثنا أبو بكر الأثرم، ثنا إبراهيم بن الحارث -يعني: العبّادي-، حدثنا الليث بن يحيىٰ، قال: سمعت إبراهيم بن الأشعث، قال أبو بكر -وهو صاحب الفضيل- قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: ليس لنا أن نتوهم في الله كيف هو؛ لأن الله تعالىٰ وصف نفسه فأبلغ فقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص]، فلا صفةَ أبلغُ مما وصف به نفسه.

وكلّ هـٰذا: النزول، والضحك، وهـٰذه المباهاة، وهـٰذا الإطلاع، كما يشاء أن ينزل، وكما يشاء أن يباهي، وكما يشاء أن يضحك، وكما يشاء أن يطّلع. فليس لنا أن نتوهم كيف

وكيف؟ فإذا قال الجهمي: أنا أكفر بربٍّ يزول عن مكانه. فقل: بل أومن برب يفعل ما يشاء.

ونَقل هـٰذا عن الفضيل جماعة؛ منهم البخاري في «خلق أفعال العباد»، ونقله شيخ الإسلام بإسناده في كتابه «الفاروق» فقال: ثنا يحيىٰ بن عمار، ثنا أبي، ثنا يوسف بن يعقوب، ثنا حرمي بن علي البخاري وهانئ بن النضر، عن الفضيل.

وقال عمرو بن عثمان المكي في كتابه الذي سماه «التعرف بأحوال العباد والمتعبدين» قال: باب ما يجيء به الشيطان للتائبين، وذكر أنه يوقعهم في القنوط، ثم في الغرور وطول الأمل، ثم في التوحيد، فقال: من أعظم ما يوسوس في التوحيد بالتشكيك أو في صفات الرب بالتمثيل والتشبيه، أو بالجحد لها والتعطيل. فقال بعد ذكر حديث الوسوسة:

واعلم -رحمك الله- أن كلما توهمه قلبك، أو سنح في مجاري فكرك، أو خطر في معارضات قلبك من حسن أو بهاء، أو ضياء أو إشراق، أو جمال، أو سنح مسائل، أو شخص متمثل: فالله تعالىٰ بغير ذلك؛ بل هو تعالىٰ أعظم وأجل وأكبر، ألا تسمع لقوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورىٰ:١١]، وقوله: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص] أي: لا شبيه ولا نظير ولا مساوي ولا مِثل، أو لم تعلم أنه لما تجلَّىٰ للجبل تدكدك لعظم هيبته، وشامخ سلطانه، فكما لا يتجلّىٰ لشيء إلا اندك، كذلك لا يتوهمه أحد إلا هلك، فَرُدَّ بما بيّن الله في كتابه من نفيه عن نفسه التشبيه والمثل والنظير والكفْء.

فإن اعتصمت بها وامتنعت منه أتاك من قبل التعطيل لصفات الرّب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وتقدس في كتابه وسنة رسوله محمّد ﷺ فقال لك: إذا كان موصوفا بكذا أو وصفته أوجب له التشبيه فأكذبه؛ لأنه اللّعين إنما يريد أن يستزلك ويُغويك ويدخلك في صفات الملحدين الزائغين الجاحدين لصفة الرب تعالىٰ.

واعلم -رحمك الله تعالىٰ- أنَّ الله تعالىٰ واحد لا كالآحاد، فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، إلىٰ أن قال: خلُصت له الأسماء السَّنية فكانت واقعة في قديم الأزل بصدق الحقائق، لم يستحدث تعالىٰ صفة كان منها خليّا، واسما كان منه بريّا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ،

فكان هاديا سيهدي، وخالقا سيخلق، ورازقا سيرزق، وغافرا سيغفر، وفاعلا سيفعل، ولم يحدث له الاستواء إلا وقد كان في صفة أنه سيكون ذلك الفعل، فهو يسمّىٰ به في جملة فعله، كذلك قال الله تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾[الفجر:٢٢] بمعنىٰ أنه سيجيء، فلم يستحدث الاسم بالمجيء، وتخلُّف الفعل لوقت المجيء، فهو جاء سيجيء، ويكون المجيء منه موجودا بصفة لا تلحقه الكيفية ولا التشبيه؛ لأن ذلك فعل الربوبية، فيستحسر العقل وتنقطع النفس عند إرادة الدخول في تحصيل كيفية المعبود، فلا تذهب في أحد الجانبين لا معطلا ولا مشبّها، وارض لله بما رضي به لنفسه، وقِف عند خبره لنفسه مسلما مستسلمًا، مصدقا؛ بلا مباحثة التنفير ولا مناسبة التنقير.

إلىٰ أن قال: فهو تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ القائل: أنا الله، لا الشجرة، الجائي قبل أن يكون جائيا، لا أمره المتجلي لأوليائه في المعاد؛ فتبيضّ به وجوههم، وتفلُج به علىٰ الجاحدين حجتهم، المستوي علىٰ عرشه بعظمة جلاله فوق كل مكان تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، الذي كلم موسىٰ تكليما، وأراه من آياته، فسمع موسىٰ كلام الله لأنه قرَّبه نجيًّا، تقدَّس أن يكون كلامه مخلوقا أو محدَثا أو مربوبا، والوارث بخلقه لخلقه السميع لأصواتهم، الناظر بعينه إلىٰ أجسامهم، يداه مبسوطتان، وهما غير نعمته، خلق آدم ونفخ فيه من روحه -وهو أمره-، تعالىٰ وتقدس أن يحل بجسم، أو يمازج بجسم، أو يلاصق به تعالىٰ عن ذلك علوا كبيرا، الشائي له المشيئة، العالم له العلم، الباسط يديه بالرحمة، النازل كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا ليتقرب إليه خلقه بالعبادة، وليرغبوا إليه بالوسيلة، القريب في قربه من حبل الوريد، البعيد في علوه من كل مكان بعيد، ولا يشبّه بالناس.

إلىٰ أن قال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]، القائل ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك] تعالىٰ وتقدس أن يكون في الأرض كما هو في السماء جل عن ذلك علوا كبيرا. ا.هـ

وقال الإمام أبو عبد الله الحارث بن إسماعيل بن أسد المحاسبي في كتابه المسمىٰ «فهم القرآن» قال -في كلامه علىٰ الناسخ والمنسوخ وأنّ النسخ لا يجوز في الأخبار- قال: لا يحل لأحد أن يعتقد أنّ مدح الله وصفاته ولا أسمائه يجوز أن ينسخ منها شيء.

إلىٰ أن قال: وكذلك لا يجوز إذا أخبر أن صفاته حسنة عُليا أن يخبر بعد ذلك أنها دنية سفلىٰ، فيصف نفسه بأنه جاهل ببعض الغيب بعد أن أخبر أنه عالم بالغيب، وأنه لا يبصر ما قد كان، ولا يسمع الأصوات، ولا قدرة له، ولا يتكلم، ولا الكلام كان منه، وأنه تحت الأرض لا علىٰ العرش جَلَّ وَعَلَا عن ذلك.

فإذا عرفت ذلك واستيقنته علمت ما يجوز عليه النسخ وما لا يجوز، فإن تلوت آية في ظاهر تلاوتها تحسب أنها ناسخة لبعض أخباره كقوله عن فرعون ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ﴾ [يونس:٩٠] الآيات، وقال: ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [محمد:٣١].

وقال: قد تأول قوم أن الله عنىٰ أن ينجيه ببدنه من النار لأنه آمن عند الغرق، وقال: إنما ذكر اللهُ أن قوم فرعون يدخلون النار دونه، وقال ﴿فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ﴾ [هود:٩٨]، وقال: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ۝٤٥﴾ [غافر]، ولم يقل بفرعون، قال: وهكذا الكذب علىٰ الله؛ لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ۝٢٥﴾ [النازعات]، كذلك قوله: ﴿فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ [العنكبوت:٣] فاقرأ التلاوة علىٰ استئناف العلم من الله عَزَّوَجَلَّ عن أن يستأنف علما بشيء؛ لأنه من ليس له علم بما يريد أن يصنعه لم يقدر أن يصنعه -نجده ضرورة.

قال: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٤﴾ [الملك]، قال: وإنما قوله: ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ﴾ إنما يريد حتىٰ نراه، فيكون معلوما موجودا؛ لأنه لا جائز أن يكون يعلم بالشيء معدوما من قبل أن يكون، ويعلمه موجودا كان قد كان، فيعلم في وقت واحد معدوما موجودا، وإن لم يكن وهـٰذا محال.

وذكر كلاما في هـٰذا في الإرادة.

إلىٰ أن قال: وكذلك قوله: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الشعراء] ليس معناه أنه يحدث له سمعا، ولا تكلفٌ لسمع ما كان من قولهم، وقد ذهب قوم من أهل السنة أنَّ لله استماعا في ذاته، فذهبوا إلىٰ أنَّ ما يعقل من أنه يحدث منهم عُلم سمع لما كان من قول؛ لأن المخلوق إذا سمع حدث له عُقد فهم عما أدركته أذنه من الصوت، وكذلك قوله: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة:١٠٥]، لا يستحدث بصرا محدثا في ذاته، وإنما يحدث الشيء فيراه مكونا كما لم يزل يعلمه قبل كونه.

إلىٰ أن قال: وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ [الأنعام:١٨ و٦١]، وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه]، وقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦]، وقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر:١٠]، وقال: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾[السجدة:٥]، وقال: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾[المعارج:٤]، وقال لعيسىٰ: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [آل عمران:٥٥] الآية، وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ﴾ [النساء:١٥٨]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ [الأعراف:٢٠٦].

وذكر الآلهة أن لو كانوا آلهة لابتغوا إلىٰ ذي العرش سبيلا حيث هو فقال: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الإسراء]، أي: طلبه، وقال: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ [الأعلىٰ].

قال أبو عبد الله: فلن ينسخ ذلك لهـٰذا أبدا.

كذلك قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌۚ﴾ [الزخرف:٨٤]، وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ [الأنعام:٣]، وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾

[المجادلة:٧] الآية، فليس هـٰذا بناسخ لهـٰذا، ولا هـٰذا ضد لذلك.

واعلم أن هـٰذه الآيات ليس معناها أن الله أراد الكون بذاته فيكون في أسفل الأشياء، أو ينتقل فيها لانتقالها، ويتبعض فيها علىٰ أقدارها، ويزول عنها عند فنائها، جل وعز عن ذلك، وقد نزع بذلك بعض أهل الضلال، فزعموا أن الله تعالىٰ في كل مكان بنفسه كائنا، كما هو علىٰ العرش، لا فرقان بين ذلك عندهم، ثم أحالوا في النفي بعد تثبيت ما يجوز عليه في قولهم ما نفوه؛ لأن كل من يثبت شيئا في المعنىٰ ثم نفاه بالقول لم يغن عنه نفيه بلسانه، واحتجوا بهـٰذه الآيات؛ أنّ الله تعالىٰ في كل شيء بنفسه كائنا ثم نفوا معنىٰ ما أثبتوه، فقالوا: لا كالشيء في الشيء.

قال أبو عبد الله: أمّا قوله: ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ﴾ [محمد:٣١]، ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٩٤]، و﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ۝١٥﴾ [الشعراء:١٥]، فإنما معناه حتىٰ يكون الموجود فيعلمه موجودا، ويسمعه مسموعا، ويبصره مُبْصَرا لا علىٰ استحداث علم ولا سمع ولا بصر.

وأما قوله: ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ﴾ [الإسراء:١٦]، إذا جاء وقت كون المراد فيه.

وأن قوله: ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ [الأعراف:١٨ و٦١] الآية، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الملك:١٦] ﴿إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ۝٤٢﴾ [الإسراء]، فهـٰذا وغيره مثل قوله ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ [المعارج:٤]، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[فاطر:١٠]، هـٰذا منقطع يوجب أنه فوق العرش، فوق الأشياء كلها منزه عن الدخول في خلقه، لا يخفىٰ عليه منهم خافية؛ لأنه أبان في هـٰذه الآيات أنه أراد أنه بنفسه فوق عباده؛ لأنه قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الملك:١٦]، يعني فوق العرش والعرش علىٰ السماء؛ لأن من قد كان فوق كل شيء علىٰ السماء في السماء، وقد قال مثل ذلك في قوله: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [التوبة:٢]، يعني علىٰ الأرض، لا يريد الدخول في جوفها. وكذلك قوله: ﴿يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [المائدة:٢٦] يعني علىٰ الأرض لا يريد الدخول في جوفها، وكذلك قوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي

جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ [طه:٧١] يعني فوقها عليها.

وقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ﴾، ثم فصل فقال: ﴿أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الملك:١٦]، ولم يصل فلم يكن لذلك معنىٰ -إذ فصل قوله: ﴿مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾، ثم استأنف التخويف بالخسف-، إلا أنه علىٰ عرشه فوق السماء.

وقال تعالىٰ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ﴾ [السجدة:٥]، وقال ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ [المعارج:٤]، فبين عروج الأمر وعروج الملائكة، ثم وصف وقت صعودها بالارتفاع صاعدة إليه فقال: ﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ٤﴾ [المعارج]، فقال صعودها إليه، وفصله من قوله: ﴿إِلَيۡهِ﴾ كقول القائل: اصعد إلىٰ فلان في ليلة أو يوم، وذلك أنه في العلو وأن صعودك إليه في يوم، فإذا صعدوا إلىٰ العرش فقد صعدوا إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وإن كانوا لم يروه ولم يساووه في الارتفاع في علوه فإنهم صعدوا من الأرض وعرجوا بالأمر إلىٰ العلو، قال تعالىٰ: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾[النساء:١٥٨]، ولم يقل عنده.

﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ ثم استأنف الكلام فقال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ﴾ [غافر]، فيما قال: قال لي أن إلهه فوق السمٰوات.

فبين الله سُبۡحَانَهُوَتَعَالَىٰ أنّ فرعون ظن بموسىٰ أنه كاذب فيما قال: وعمد لطلبه حيث قاله مع الظن بموسىٰ أنه كاذب، ولو أن موسىٰ قال إنه في كل مكان بذاته لطلبه في بيته أو في بدنه أو حُشِّه، فتعالىٰ الله عن ذلك، ولم يجهد نفسه ببنيان الصرح.

قال أبو عبد الله: وأما الآية التي يزعمون أنها قد وصلها ولم يقطعها كما قطع الكلام الذي أراد به أنه علىٰ عرشه فقال: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [المجادلة:٧]، فأخبر بالعلم ثم أخبر أنه مع كل مناجٍ، ثم ختم الآية بالعلم بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٧﴾ [المجادلة]، فبدأ بالعلم وختم بالعلم، فبين أنه أراد أنه يعلمهم حيث

كانوا لا يخفون عليه، ولا يخفىٰ عليه مناجاتهم، ولو اجتمع القوم في أسفل وناظر إليهم في العلو فقال: إني لم أزل أراكم وأعلم مناجاتكم لكان صادقًا -ولله المثل الأعلىٰ أن يشبه الخلق- فإن أبوا إلا ظاهر التِّلاوة، وقالوا هـٰذا منكم دعوىٰ. خرجوا عن قولهم في ظاهر التلاوة؛ لأن من هو مع الاثنين فأكثر هو معهم لا فيهم، ومن كان مع شيء خلا منه جسمه وهـٰذا خروج من قولهم.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [ق]؛ لأن ما قرب من الشيء ليس هو في الشيء ففي ظاهر التلاوة علىٰ دعواهم أنه ليس في حبل الوريد.

وكذلك قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف:٨٤]، لم يقل: في السماء ثم قطع -كما قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦] ثم قطع فقال: ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الملك:١٦]- فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ﴾ يعني إله أهل السماء إله أهل الأرض وذلك موجود في اللغة، تقول فلان أمير في خراسان، وأمير في بَلْخ، وأمير في سمرقند، وإنما هو في موضع واحد، ويخفىٰ عليه ما وراءه، فكيف العالي فوق الأشياء لا يخفىٰ عليه شيء من الأشياء يدبّره، فهو إله فيهما إذ كان مدبِّرا لهما، وهو علىٰ عرشه وفوق كل شيء تعالىٰ عن الأشباه والأمثال.

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن خفيف في كتابه الذي سماه: «اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات» قال في آخر خطبته: فاتفقت أقوال المهاجرين والأنصار في توحيد الله عَزَّوَجَلَّ، ومعرفة أسمائه وصفاته وقضائه، قولا واحدا وشرعًا ظاهرا، وهم الذين نقلوا عن رسول الله ﷺ ذلك حتىٰ قال: «**عليكم بسنتي**» وذكر الحديث، وحديث «**لعن الله من أحدث حدثًا**» قال: فكانت كلمة الصحابة علىٰ الاتفاق من غير اختلاف، وهم الذين أُمرنا بالأخذ عنهم إذ لم يختلفوا بحمد الله تعالىٰ في أحكام التوحيد وأصول الدِّين من الأسماء والصفات، كما اختلفوا في الفروع، ولو كان منهم في ذلك اختلافٌ لنُقل إلينا كما نقل سائر الاختلاف، فاستقرَّ صحة ذلك عند خاصتهم وعامتهم حتىٰ أدوا ذلك إلىٰ التابعين لهم

بإحسان، فاستقرّ صحة ذلك عند العلماء المعروفين حتىٰ نقلوا ذلك قرنًا بعد قرن؛ لأن الاختلاف كان عندهم في الأصل كفر ولله المنة.

ثم إني قائل وبالله أقول: إنه لما اختلفوا في أحكام التوحيد وذكر الأسماء والصفات علىٰ خلاف منهج المتقدمين من الصحابة والتابعين، فخاض في ذلك من لم يعرفوا بعلم الآثار، ولم يعقلوا قولهم بذكر الأخبار، وصار معوّلهم علىٰ أحكام هواجس النفوس المستخرجة من سوء الطوية علىٰ مخالفة السنة، والتعلق منهم بآيات لم يسعدهم فيها ما وافق النفوس، فتأولوا علىٰ ما وافق هواهم وصححوا بذلك مذاهبهم، احتجت إلىٰ الكشف عن صفة المتقدمين، ومأخذ المؤمنين، ومنهاج الأولين؛ خوفا من الوقوع في جملة أقاويلهم التي حذر رسول الله ﷺ أمته ومنع المستجيبين له حتىٰ حذرهم.

ثم ذكر أبو عبد الله خروج النبي ﷺ وهم يتنازعون في القدر وغضبه، وحديث «**لألفين أحدكم**» وحديث «**ستفترق أمتي علىٰ ثلاث وسبعين فرقة**» وأن الناجية ما كان عليه هو وأصحابه.

ثم قال: فلزم الأمةَ قاطبة معرفةُ ما كان عليه الصحابة، ولم يكن الوصول إليه إلا من جهة التابعين لهم بإحسان المعروفين بنقل الأخبار ممن لا يقبل المذاهب المحدثة، فيتّصل ذلك قرنا بعد قرن ممّن عرفوا بالعدالة والأمانة، المحافظين علىٰ الأمة ما لهم وما عليهم من إثبات السنة.

إلىٰ أن قال: فأول ما نبتدئ به ما أوردنا هـٰذه المسألة من أجلها، ذكر أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته مما ذكر الله في كتابه، وما بين ﷺ من صفاته في سنته، وما وصف به عَزَّوَجَلَّ نفسه مما سنذكر قول القائلين بذلك ممّا لا يجوز لنا في ذلك أن نرده إلىٰ أحكام عقولنا بطلب الكيفية بذلك، ومما قد أُمرنا بالاستسلام له.

إلىٰ أن قال: ثم إن الله تعرّف إلينا بعد إثبات الوحدانية، والإقرار بالألوهية: إن ذكر تعالىٰ في كتابه بعد التحقيق، بما بدأ من أسمائه وصفاته، وأكده عليه السلام بقوله، فقبلوا منه

كقبولهم لأوائل التوحيد من ظاهر قوله: لا إله إلا الله.

إلىٰ أن قال بإثبات نفسه بالتفصيل من المجمل، فقال لموسىٰ عليه السلام: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ٤١﴾ [طه]، وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾ [آل عمران:٢٨ و٣٠.].

ولصحة ذلك، واستقرار ما جاء به المسيح عليه السلام فقال: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ [المائدة:١١٦].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤]، وأكد عليه السلام صحة إثبات ذلك في سنته فقال يقول الله عَزَّوَجَلَّ «**من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي**».

وقال: «**كتب كتابا بيده علىٰ نفسه أن رحمتي غلبت غضبي**»، وقال: «**سبحان الله رضي نفسه**» وقال في محاجة آدم لموسىٰ: «**أنت الذي اصطفاك الله واصطنعك لنفسه**».

فقد صرح بظاهر قوله: أنه أثبت لنفسه نفسا، وأثبت له الرسول ذلك؛ فعلىٰ من صدق الله ورسوله اعتقاد ما أخبر الله به عن نفسه، ويكون ذلك مبنيا علىٰ ظاهر قوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورىٰ:١١].

ثم قال: فعلىٰ المؤمنين خاصتهم وعامتهم قبول كل ما ورد عنه عليه السلام بنقل العدل عن العدل حتىٰ تصل به ﷺ، وأن مما قضىٰ الله علينا في كتابه ووصف به نفسه ووردت السنة بصحة ذلك أن قال: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾، ثم قال عقيب ذلك: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ﴾ [النور:٣٥]، وبذلك دعاه ﷺ «**أنت نور السَّمٰوات والأرض**»، ثم ذكر حديث أبي موسىٰ «**حجابه النور -أو النار- لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه**» وقال: «**سُبحات وجهه**» جلاله ونوره، نقله عن الخليل وأبي عبيد، وقال: قال عبد الله بن مسعود: نور السَّمٰوات نور وجهه.

ثم قال: ومما ورد به النص أنه حي، وذكر قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة:٢٥٥] والحديث «**يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث**».

قال: ومما تعرف الله إلىٰ عباده أنْ وصف نفسه أن له وجها موصوفا بالجلال والإكرام

فأثبت لنفسه وجهًا، وذكر الآيات.

ثم ذكر حديث أبي موسىٰ المتقدم فقال في هـٰذا الحديث مِن أوصاف الله عَزَّوَجَلَّ: (لا ينام) موافق لظاهر الكتاب ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وأن له وجها موصوفا بالأنوار، وأن له بصرا كما علمنا في كتابه أنه سميع بصير.

ثم ذكر الأحاديث في إثبات الوجه، وفي إثبات السمع والبصر، والآيات الدالة علىٰ ذلك.

ثم قال: ثم إنّ الله تعالىٰ تعرّف إلىٰ عباده المؤمنين، وأنه قال: له يدان قد بسطهما بالرحمة. وذكر الأحاديث في ذلك، ثم ذكر شعر أمية بن أبي الصلت، ثم ذكر حديث: «**يلقىٰ في النار وتقول: هل من مزيد؟ حتىٰ يضع فيها رجلَه**» وهي: رواية البخاري، وفي رواية أخرىٰ: «**يضع عليها قدمه**».

ثم ما رواه مسلم البَطين عن ابن عباس: أنَّ الكرسي موضع القدمين. وأن العرش لا يقدر قدره إلا الله، وذكر قول مسلم البطين نفسَه، وقول السدي، وقول وهب بن منبه، وأبي مالك، وبعضهم يقول: موضع قدميه. وبعضهم يقول: واضع رجليه عليه.

ثم قال: فهـٰذه الروايات قد رويت عن هؤلاء من صدر هـٰذه الأمة موافقة لقول النبي ﷺ متداولة في الأقوال ومحفوظة في الصدر، ولا ينكر خلف عن السلف، ولا ينكر عليهم أحد من نظرائهم، نقلتها الخاصة والعامة مدونة في كتبهم، إلىٰ أن حدث في آخر الأمة من قلل الله عددهم ممّن حذرنا رسول الله ﷺ عن مجالستهم ومكالمتهم، وأمرنا ألّا نعود مرضاهم، ولا نشيع جنائزهم، فقصد هؤلاء إلىٰ هـٰذه الروايات فضربوها بالتشبيه وعمدوا إلىٰ الأخبار فعملوا في دفعها إلىٰ أحكام المقاييس، وكَفَّروا المتقدِّمين، وأنكروا علىٰ الصحابة والتابعين وردوا علىٰ الأئمة الراشدين فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل.

ثم ذكر المأثور عن ابن عباس، وجوابَه لنجدة الحروري؛ ثم حديث الصورة وذكر أنه صنف فيه كتابا مفردا، واختلاف الناس في تأويله.

ثم قال: وسنذكر أصول السنة وما ورد من الاختلاف فيما نعتقده فيما خالفنا فيه أهل

الزيغ، وما وافقنا فيه أصحاب الحديث من المثبتة -إن شاء الله.

ثم ذكر الخلاف في الإمامة واحتج عليها، وذكر اتّفاق المهاجرين والأنصار علىٰ تقديم الصديق وأنه أفضل الأمة.

ثم قال: وكان الاختلاف في خلق الأفعال، هل هي مقدَّرة أم لا؟ قال: وقولنا فيها أنَّ أفعال العباد مقدرة معلومة وذكر إثبات القدر.

ثم ذكر الخلاف في أهل الكبائر ومسألة الأسماء والأحكام، وقال: قولنا فيها أنهم مؤمنون علىٰ الإطلاق، وأمرهم إلىٰ الله، إن شاء عذبهم، وإن شاء عفا عنهم.

وقال: أصل الإيمان موهبة يتولد منها أفعال العباد فيكون أصل التصديق والإقرار والأعمال، وذكر الخلاف في زيادة الإيمان ونقصانه، وقال: قولنا إنه يزيد وينقص. قال: ثم كان الاختلاف في القرآن مخلوقا وغير مخلوق، فقولنا وقول أئمتنا أن القرآن كلام الله غير مخلوق وأنه صفة الله منه بدأ قولا، وإليه يعود حكما.

ثم ذكر الخلاف في الرؤية وقال: قولنا وقول أئمتنا فيما نعتقد أنَّ الله يُرىٰ في القيامة، وذكر الحجة.

ثم قال: اعلم رحمك الله أني ذكرت أحكام الاختلاف علىٰ ما ورد من ترتيب المحدثين في كل الأزمنة. وقد بدأت أن أذكر أحكام الجمل من العقود، فنقول ونعتقد أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ له عرش، وهو علىٰ عرشه فوق سبع سماواته بكل أسمائه وصفاته، كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، و﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [السجدة:٥]، ولا نقول: أنه في الأرض كما هو في السماء علىٰ عرشه؛ لأنه عالم بما يجرىٰ علىٰ عباده ثم يعرج إليه.

إلىٰ أن قال: ونعتقد أن الله تعالىٰ خلق الجنة والنار، وأنهما مخلوقتان للبقاء لا للفناء.

إلىٰ أن قال: ونعتقد أن النبي ﷺ عُرج بنفسه إلىٰ سدرة المنتهىٰ.

إلىٰ أن قال: ونعتقد أن الله قبض قبضتين فقال: «**هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار**».

ونعتقد أن للرسول ﷺ حوضا، ونعتقد أنه أول شافع وأول مشفَّع، وذكر الصراط،

والميزان، والموت، وأن المقتول قُتل بأجله، واستوفىٰ رزقه.

إلىٰ أن قال: ومما نعتقد أنَّ الله ينزل كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا في ثلث الليل الآخر، فيبسط يده فيقول: «**ألا هل من سائل**» الحديث، وليلة النصف من شعبان، وعشية عرفة، وذكر الحديث في ذلك. قال: ونعتقد أن الله تعالىٰ كلم موسىٰ تكليما، واتخذ إبراهيم خليلا، وأن الخلة غير الفقر، لا كما قال أهل البدع.

ونعتقد أنّ الله تعالىٰ خص محمدا ﷺ بالرؤية، واتخذه خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا.

ونعتقد أن الله تعالىٰ اختص بمفاتح خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان:٣٤] الآية.

ونعتقد المسح علىٰ الخفين ثلاثا للمسافر ويوما وليلة للمقيم.

ونعتقد الصبر علىٰ السلطان من قريش ما كان من جور أو عدل، ما أقام الصلاة من الجمع والأعياد، والجهاد معهم ماض إلىٰ يوم القيامة، والصلاة في الجماعة حيث ينادىٰ لها واجب إذا لم يكن عذر أو مانع، والتراويح سنة، ونشهد أن من ترك الصلاة عمدا فهو كافر، والشهادة والبراءة بدعة، والصلاة علىٰ من مات من أهل القبلة سنة، ولا ننزل أحدا جنة ولا نارا حتىٰ يكون الله ينزلهم، والمراء والجدال في الدين بدعة.

ونعتقد أن ما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ أمرهم إلىٰ الله، ونترحّم علىٰ عائشة ونترضىٰ عنها.

والقول في اللفظ والملفوظ؛ وكذلك في الاسم والمسمىٰ بدعة، والقول في أن الإيمان مخلوق أو غير مخلوق بدعة، واعلم أني ذكرت اعتقاد أهل السنة علىٰ ظاهر ما ورد عن الصحابة والتابعين مجملًا من غير استقصاء، إذْ تقدم القول من مشائخنا المعروفين من أهل الإمامة والديانة إلا إني أحببت أن أذكر عقود أصحابنا المتصوفة فيما أحدثته طائفة نسبوا إليهم ما قد تخرصوا من القول بما نزه الله تعالىٰ المذهب وأهله من ذلك.

إلىٰ أن قال: وقرأت لمحمد بن جرير الطبري في كتاب سماه «التبصير»، كتب بذلك إلىٰ

أهل طبرستان في اختلاف عندهم؛ وسألوه أن يصنف لهم ما يعتقده ويذهب إليه فذكر في كتابه اختلاف القائلين برؤية الله تعالىٰ؛ فذكر عن طائفة إثبات الرؤية في الدنيا والآخرة.

ونسب هـٰذه المقالة إلىٰ الصوفية قاطبة، لم يخص طائفة، فبين أن ذلك علىٰ جهالة منه بأقوال المخلصين منهم، وكان من نسب إليه ذلك القول -بعد أن ادعىٰ علىٰ الطائفة- ابن أخت عبد الواحد بن زيد، والله أعلم محله عند المخلصين، فكيف بابن أخته، وليس إذا أحدث الزائغ في نحلته قولا نسب إلىٰ الجملة؛ كذلك في الفقهاء والمحدثين ليس من أحدث قولا في الفقه، وليس فيه حديث يناسب ذلك ينسب ذلك إلىٰ جملة الفقهاء والمحدثين.

واعلم أنّ ألفاظ الصوفية وعلومهم تختلف، فيطلقون ألفاظهم علىٰ موضوعات لهم، ومرموزات وإشارات تجري فيما بينهم، فمن لم يداخلهم علىٰ التحقيق، ونازل ما هم عليه رجع عنهم خاسئا وهو حسير.

ثم ذكر إطلاقهم لفظ الرؤية بالتقييد. فقال: كثيرا ما يقولون: رأيت الله يقول. وذكر عن جعفر بن محمد قوله لما سئل هل رأيت الله حين عبدته؟ قال: رأيت الله ثم عبدته. فقال السائل: كيف رأيته؟ فقال: لم تره الأبصار بتحديد الأعيان، ولكن رؤية القلوب بتحقيق الإيقان.

ثم قال: وإنه تعالىٰ يرىٰ في الآخرة كما أخبر في كتابه وذكره رسوله ﷺ.

هـٰذا قولنا وقول أئمتنا دون الجهال من أهل الغباوة فينا.

وأن مما نعتقده أن الله حرم علىٰ المؤمنين دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وذكر ذلك في حجة الوداع. فمن زعم أنه يبلغ مع الله إلىٰ درجة يبيح الحق له ما حظر علىٰ المؤمنين -إلا المضطر علىٰ حال يلزمه أحياء للنفس- لو بلغ العبد ما بلغ من العلم والعبادات فذلك كفر بالله، والقائل ذلك قائل بالإباحة وهم المنسلخون من الديانة.

وأن مما نعتقده ترك إطلاق تسمية العشق علىٰ الله تعالىٰ؛ وبيَّن أن ذلك لا يجوز لاشتقاقه، ولعدم ورود الشرع به، وقال: أدنىٰ ما فيه أنه بدعة وضلالة، وفيما نص الله من ذكر المحبة

كفاية.

وأن مما نعتقده أنَّ الله لا يحل في المرئيات، وأنَّه المتفرد بكمال أسمائه وصفاته، بائن من خلقه، مستو علىٰ عرشه، وأن القرآن كلامه غير مخلوق، حيث ما تلي ودرس وحفظ.

ونعتقد أن الله تعالىٰ اتخذ إبراهيم خليلا، واتخذ نبينا محمدا ﷺ خليلا وحبيبا، والخلة لهما منه علىٰ خلاف ما قاله المعتزلة: إن الخلة الفقر والحاجة.

إلىٰ أن قال: والخلة والمحبة صفتان لله هو موصوف بهما ولا تدخل أوصافه تحت التكييف والتشبيه، وصفات الخلق من المحبة والخلة جائز عليها الكيف، فأما صفاته تعالىٰ فمعلومة في العلم، وموجودة في التعريف، قد انتفىٰ عنهما التشبيه، فالإيمان به واجب، واسم الكيفية عن ذلك ساقط.

ومما نعتقده أنّ الله أباح المكاسب والتجارات والصناعات وإنما حرم الله الغش والظلم، وأنّ من قال بتحريم تلك المكاسب فهو ضال مضل مبتدع؛ إذْ ليس الفساد والظلم والغش من التجارات والصناعات في شيء، إنما حرم الله ورسوله الفساد لا الكسب والتجارات، فإن ذلك علىٰ أصل الكتاب والسنة جائز إلىٰ يوم القيامة.

وأنّ مما نعتقد أن الله لا يأمر بأكل الحلال ثم يعدمهم الوصول إليه من جميع الجهات؛ لأن ما طالبهم به موجود إلىٰ يوم القيامة، والمعتقد أنَّ الأرض تخلو من الحلال، والناس يتقلبون في الحرام فهو مبتدع ضال، إلا أنه يقل في موضع ويكثر في موضع؛ لا أنه مفقود من الأرض.

ومما نعتقده إنا إذا رأينا مَنْ ظاهره جميل لا نتهمه في مكسبه وماله وطعامه، جائز أن يؤكل طعامه، والمعاملة في تجارته، فليس علينا الكشف عما قاله، فإن سأل سائل علىٰ سبيل الاحتياط جاز إلا من داخل الظَّلَمة.

ومن ينزع عن الظلم وأخذ الأموال بالباطل ومعه غير ذلك: فالسؤال والتوقي؛ كما سأل الصديق غلامه، فإن كان معه من المال سوىٰ ذلك مما هو خارج عن تلك الأموال فاختلطا،

فلا يطلق عليه اسم الحلال ولا الحرام، إلا أنه مشتبه؛ فمن سأل استبرأ لدينه كما فعل الصديق، وأجاز ابن مسعود وسلمان الأكل منه وعليه التبعة. والناس طبقات والدين الحنيفية السمحة.

وأن مما نعتقد أن العبد ما دام أحكام الدار جاريةً عليه فلا يسقط عنه الخوف والرجاء، وكل من ادعىٰ الأمن فهو جاهل بالله، وبما أخبر به عن نفسه ﴿فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩٩﴾ [الأعراف]، وقد أفردت كشف عوار كل من قال بذلك.

ونعتقد أن العبودية لا تسقط عن العبد ما عقَل وعلِم ما له وما عليه، فيبقىٰ علىٰ أحكام القوة والاستطاعة؛ إذ لم يسقط الله ذلك عن الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، ومن زعم أنه قد خرج عن رق العبودية إلىٰ فضاء الحرية بإسقاط العبودية والخروج إلىٰ أحكام الأَحدية المُسْدِية بعلائق الآخرية، فهو كافر لا محالة، إلا من اعتراه علة، أو رأفة؛ فصار معتوها. أو مجنونا، أو مبرسما، وقد اختلط عقله، أو لحقه غشية يرتفع عنه بها أحكام العقل، وذهب عنه التمييز والمعرفة؛ فذلك خارج عن الملة مفارق للشريعة.

ومن زعم الإشراف علىٰ الخلق حتىٰ يعلم مقاماتهم ومقدارهم عند الله بغير الوحي المنزل من قول رسول الله ﷺ فهو خارج عن الملة، ومن ادعىٰ أنه يعرف مآل الخلق ومنقلبهم وعلىٰ ماذا يموتون عليه ويختم لهم، بغير الوحي من قول الله وقول رسوله ﷺ فقد باء بغضب من الله.

والفراسة حق علىٰ أصول ما ذكرناه، وليس ذلك مما رسمناه في شيء.

ومن زعم أن صفاته تعالىٰ بصفاته ويشير في ذلك إلىٰ غير آية العظمة والتوفيق والهداية وأشار إلىٰ صفاته عَزَّوَجَلَّ القديمة: فهو حلولي قائل باللاهوتية والالتحام، وذلك كفر لا محالة.

ونعتقد أن الأرواح كلها مخلوقة. ومن قال: إنها غير مخلوقة فقد ضاهىٰ قول النصارىٰ – النسطورية– في المسيح، وذلك كفر بالله العظيم.

ومن قال: إن شيئا من صفات الله حال في العبد، أو قال بالتبعيض على الله فقد كفر؛ والقرآن كلام الله ليس بمخلوق ولا حال في مخلوق، وأنه كيفما تُلي وقرئ وحفظ: فهو صفة الله عَزَّوَجَلَّ وليس الدرس من المدروس، ولا التلاوة من المتلو، لأنه عَزَّوَجَلَّ بجميع صفاته وأسمائه غير مخلوق، ومن قال بغير ذلك فهو كافر.

ونعتقد: أن القراءة الملحنة بدعة وضلالة.

وأن القصائد بدعة، ومجراها على قسمين: فالحسن من ذلك من ذكر آلاء الله ونعمائه، وإظهار نعت الصالحين وصفة المتقين، فذلك جائز، وتركه والاشتغال بذكر الله والقرآن والعلم أولى به، وما جرى على وصف المرئيات، ونعت المخلوقات، فاستماع ذلك على الله كفر، واستماع الغناء والرباعيات على الله كفر، والرقص بالإيقاع ونعت الرقاصين على أحكام الدين فسق، وعلى أحكام التواجد والغناء لهو ولعب.

وحرام على كل من يسمع القصائد والربعيات الملحنة الجاري بين أهل الأطباع على أحكام الذكر، إلا لمن تقدم له العلم بأحكام التوحيد، ومعرفة أسمائه وصفاته، وما يضاف إلى الله تعالى من ذلك مما لا يليق به عَزَّوَجَلَّ مما هو منزه عنه فيكون استماعه كما قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ﴾ [الزمر:١٨] الآية.

وكل من جهِل ذلك وقصد استماعه على الله على غير تفصيله فهو كفر لا محالة، فكل من جمع القول وأصغى بالإضافة إلى الله فغير جائز إلا لمن عرف بما وصفت من ذكر الله ونعمائه، وما هو موصوف به عَزَّوَجَلَّ مما ليس للمخلوقين فيه نعت ولا وصف؛ بل ترْك ذلك أولى وأحوط، والأصل في ذلك أنها بدعة، والفتنة فيها غير مأمونة، على استماع الغناء والرباعيات بدعة، وذلك مما أنكره المطلبي ومالك والثوري ويزيد بن هارون وأحمد بن حنبل وإسحاق، والاقتداء بهم أولى من الإقتداء بمن لا يُعرفون في الدين، ولا لهم قَدَم عند المخلصين.

وبلغني أنه قيل لبشر بن الحارث: إنّ أصحابك قد أحدثوا شيئا يقال له القصائد، قال: مثل

أيش؟ قال: مثل قوله:

اصْـــبِرِي يَـــا نَفْـــسُ حَتَّـــىٰ تَسْـــــــكُنِي دَارَ الْجَلِيـــــــلِ

فقال: حسن، وأين يكون هؤلاء الذين يستمعون ذلك؟ قال: قلت: ببغداد. فقال: كذبوا والله الذي لا إله غيره، لا يسكن ببغداد من يستمع ذلك.

قال أبو عبد الله: ومما نقول -وهو قول أئمتنا-: إن الفقير إذا احتاج وصبر ولم يتكفف إلىٰ وقت يفتح الله له كان أعلىٰ، فمن عجز عن الصبر كان السؤال أولىٰ به علىٰ قوله ﷺ: «**لأن يأخذ أحدكم حبله**» الحديث.

ونقول: إن ترك المكاسب غير جائز إلا بشرائط موسومة من التعفف والاستغناء عما في أيدي الناس، ومن جعل السؤال حرفة وهو صحيح، فهو مذموم في الحقيقة خارج.

ونقول: إنّ المستمع إلىٰ الغناء والملاهي فإن ذلك كما قال عليه السلام: «**الغناء ينبت النفاق في القلب**»، وإن لم يكفر فهو فسق لا محالة.

والذي نختار: قول أئمتنا: إن ترك المراء في الدين، والكلام في الإيمان مخلوق أو غير مخلوق، ومن زعم أن الرسول ﷺ واسط يؤدي وأن المرسل إليهم أفضل: فهو كافر بالله، ومن قال بإسقاط الوسائط علىٰ الجملة فقد كفر.ا.هـ

ومن متأخريهم الشيخ الإمام أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني، قال في كتاب الغنية: أما معرفة الصانع بالآيات والدلالات علىٰ وجه الاختصار فهو أن يعرف ويتيقن أن الله واحد أحد.

إلىٰ أن قال: وهو بجهة العلو مستو علىٰ العرش، محتو علىٰ الملك، محيط علمه بالأشياء، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر:١٠]، ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾ [السجدة]، ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان؛ بل يقال: إنه في السماء علىٰ العرش كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه].

وذكر آيات وأحاديث إلىٰ أن قال: وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأن استواء الذات علىٰ العرش. قال: وكونه علىٰ العرش مذكور في كل كتاب أنزل علىٰ كل نبي أرسل بلا كيف. وذكر كلاما طويلا لا يحتمله هـٰذا الموضع، وذكر في سائر الصفات نحو هـٰذا.

ولو ذكرتُ ما قاله العلماء في هـٰذا لطال الكتاب جدا.

قال أبو عمر ابن عبد البر: رَوينا عن مالك بن أنس وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة والأوزاعي ومعمر بن راشد في أحاديث الصفات أنهم كلهم قالوا: أمروها كما جاءت. قال أبو عمر: ما جاء عن النبي ﷺ من نقل الثقات، أو جاء عن أصحابه رضي الله عنهم فهو علم يُدان به؛ وما أُحدث بعدهم ولم يكن له أصلٌ فيما جاء عنهم فهو بدعة وضلالة.

وقال في «شرح الموطأ» لما تكلم علىٰ حديث النزول قال: هـٰذا حديث ثابت من جهة النقل، صحيح من جهة الإسناد، ولا يختلف أهل الحديث في صحته، وهو منقول من طرق سوىٰ هـٰذه، من أخبار العدول عن النبي ﷺ، وفيه دليل علىٰ أن الله في السماء علىٰ العرش استوىٰ من فوق سبع سماوات، كما قالت الجماعة، وهو من حجتهم علىٰ المعتزلة في قولهم: إن الله تعالىٰ في كل مكان [بذاته المقدسة].

قال: والدليل علىٰ صحة ما قال أهل الحق قول الله -وذكر بعض الآيات.

إلىٰ أن قال: وهـٰذا أشهر وأعرف عند العامة والخاصة من أن يحتاج إلىٰ أكثر من حكايته؛ لأنه اضطرار لم يوقفهم عليه أحد، ولا أنكره عليهم مسلم.

وقال أبو عمر ابن عبد البر أيضا: أجمع علماء الصحابة والتابعون الذين حمل عنهم التأويل، قالوا في تأويل قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾[المجادلة:٧]، هو علىٰ العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك من يحتج بقوله.

وقال أبو عمر أيضا أهل السنة مجمعون علىٰ الإقرار بالصِّفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها علىٰ الحقيقة لا علىٰ المجاز؛ إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك

ولا يحدّون فيه صفة محصورة.

وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج: فكلهم ينكرونها ولا يحملون شيئا منها علىٰ الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبه، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون: بما نطق به كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وهم أئمة الجماعة.

هـٰذا كلام ابن عبد البر إمام أهل المغرب.

وفي عصره الحافظ أبو بكر البيهقي مع توليه للمتكلمين من أصحاب أبي الحسن الأشعري، وذبه عنهم، قال في كتابه الأسماء والصفات: باب ما جاء في إثبات اليدين صفتين لا من حيث الجارحة لورود خبر الصادق به، قال الله تعالىٰ: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص:٧٥]، وقال: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤].

وذكر الأحاديث الصحاح في هـٰذا الباب، مثل قوله في غير حديث؛ من حديث الشفاعة «**يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده**»، ومثل قوله في الحديث المتفق عليه «**أنت موسىٰ اصطفاك الله بكلامه، وخط لك الألواح بيده**» وفي لفظ «**وكتب لك التوراة بيده**»، ومثل ما في «صحيح مسلم» أنه سبحانه «**غرس كرامة أوليائه في جنة عدن بيده**»، ومثل قوله ﷺ: «**تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها بيده كما يكتفؤ أحدكم خبزته في السفر نزلا لأهل الجنة**».

وذكر أحاديث مثل قوله: «**بيدي الأمر**»، «**والخير في يديك**»، «**والذي نفس محمد بيده**»، و«**إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل**»، وقوله: «**المقسطون عند الله علىٰ منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين**»، وقوله «**يطوىٰ الله السَّمٰوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنىٰ ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟**»، وقوله: «**يمين الله ملآ لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السَّمٰوات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه وعرشه علىٰ الماء، وبيده الأخرىٰ القسط**

يخفض ويرفع». وكل هـٰذه الأحاديث في الصحاح.

وذكر أيضا قوله «**إن الله لما خلق آدم قال له ويداه مقبوضتان، اختر أيهما شئت. قال: اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة**». وحديث «**إن الله لما خلق آدم مسح علىٰ ظهره بيده**» إلىٰ أحاديث أخر ذكرها من هـٰذا النوع.

ثم قال البيهقي: أما المتقدمون من هـٰذه الأمة فإنهم لم يفسروا ما كتبنا من الآيات والأخبار في هـٰذا الباب؛ وكذلك قال في الاستواء علىٰ العرش وسائر الصفات الخبرية مع أنه يحكي قول بعض المتأخرين.

وقال القاضي أبو يعلىٰ في كتاب «إبطال التأويل»: لا يجوز رد هـٰذه الأخبار ولا التشاغل بتأويلها، والواجب حملها علىٰ ظاهرها، وأنها صفات الله، لا تشبِه صفات سائر الموصوفين بها من الخلق، ولا يعتقد التشبيه فيها؛ لكن علىٰ ما روىٰ عن الإمام أحمد وسائر الأئمة.

وذكر بعض كلام الزهري، ومكحول، ومالك، والثوري، والأوزاعي، والليث، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وسفيان بن عيينة، والفضيل بن عياض، ووكيع، وعبد الرحمن بن مهدي، والأسود بن سالم، وإسحاق بن راهوية، وأبي عبيد، ومحمد بن جرير الطبري، وغيرهم في هـٰذا الباب. وفي حكاية ألفاظهم طول.

إلىٰ أن قال: ويدل علىٰ إبطال التأويل: أنّ الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها علىٰ ظاهرها، ولم يتعرّضوا لتأويلها، ولا صرفوها عن ظاهرها، فلو كان التأويل سائغا لكانوا أسبق إليه لما فيه من إزالة التشبيه ورفع الشبهة.

وقال أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتكلم، صاحب الطريقة المنسوبة إليه في الكلام في كتابه الذي صنفه في اختلاف المصلين، ومقالات الإسلاميين، وذكر فرق الروافض والخوارج والمرجئة والمعتزلة وغيرهم.

ثم قال مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث جملة: قول أصحاب الحديث وأهل السنة: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاء عن الله تعالىٰ، وما رواه الثقات عن رسول الله

ﷺ، لا يردون شيئا من ذلك، وأن الله واحد أحد فرد صمد لا إله غيره، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأن الله علىٰ عرشه كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، وأن له يدين بلا كيف كما قال: ﴿خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾[ص:٧٥]، وكما قال: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، وأن له عينين بلا كيف كما قال: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر:١٤]، وأن له وجها كما قال: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن].

وأن أسماء الله تعالىٰ لا يقال: إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج، وأقروا أن لله علمًا كما قال: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ﴾ [النساء:١٦٦]، وكما قال: ﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ﴾ [فاطر:١١]، وأثبتوا له السمع والبصر ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة؛ وأثبتوا لله القوة كما قال: ﴿أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ﴾ [فصلت:١٥]، وذكر مذهبهم في القدر.

إلىٰ أن قال: ويقولون: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، والكلام في اللفظ والوقف من قال باللفظ وبالوقف فهو مبتدع عندهم، لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق، ولا يقال غير مخلوق.

ويقرّون أنّ الله يُرىٰ بالأبصار يوم القيامة، كما يُرىٰ القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون، ولا يراه الكافرون؛ لأنهم عن الله محجوبون، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين].

وذكر قولهم في الإسلام والإيمان والحوض والشفاعة وأشياء.

إلىٰ أن قال: ويقرون بأن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ولا يقولون: مخلوق، ولا يشهدون علىٰ أحد من أهل الكبائر بالنار.

إلىٰ أن قال: وينكرون الجدل والمراء في الدِّين والخصومة والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل، ويتنازعون فيه من دينهم، ويسلّمون للروايات الصحيحة، كما جاءت به الآثار الصحيحة التي جاءت بها الثقات عدل عن عدل حتىٰ ينتهي ذلك إلىٰ رسول الله ﷺ؛ لا

يقولون: كيف ولا لم؟ لأن ذلك بدعة عندهم.

إلىٰ أن قال: ويقرّون أن الله يجيء يوم القيامة كما قال تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر]، وأن الله يقرب من خلقه كيف شاء كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق].

إلىٰ أن قال: ويرون مجانبة كل داع إلىٰ بدعة، والتشاغل بقراءة القرآن، وكتابة الآثار، والنظر في الآثار والنظر في الفقه مع الاستكانة والتواضع، وحسن الخلق مع بذل المعروف، وكف الأذىٰ وترك الغيبة والنميمة والشكاية، وتفقد المآكل والمشارب. قال: فهـٰذه جملة ما يأمرون به، ويستسلمون إليه، ويرونه، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب، وما توفيقنا إلا بالله وهو المستعان.

وقال الأشعري أيضا في اختلاف أهل القبلة في العرش: قال أهل السنة وأصحاب الحديث: إن الله ليس بجسم ولا يشبه الأشياء، وأنه استوىٰ علىٰ العرش كما قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه]، ولا نتقدم بين يدي الله ورسوله في القول؛ بل نقول استوىٰ بلا كيف، وأن له واجها كما قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن]، وأن له يدين كما قال: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، وأن له عينين كما قال: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:١٤]، وأنه يجيء يوم القيامة هو وملائكته كما قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر] وأنه ينزل إلىٰ سماء الدنيا كما جاء في الحديث، ولم يقولوا شيئا إلا ما وجدوه في الكتاب أو جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ.

وقالت المعتزلة: إن الله استوىٰ علىٰ العرش بمعنىٰ استولىٰ وذكر مقالات أخرىٰ.

وقال أيضا أبو الحسن الأشعري في كتابه الذي سماه «الإبانة في أصول الديانة» -وقد ذكر أصحابه أنه آخر كتاب صنفه- وعليه يعتمدون في الذب عنه عند من يطعن عليه، فقال: فصل في إبانة قول أهل الحق والسنة. فإن قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرِّفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون.

قيل له: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها؛ التمسك بكلام ربنا وسنة نبينا، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد ابن حنبل -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته- قائلون، ولما خالف قوله مخالفون؛ لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل؛ الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكين؛ فرحمة الله عليه من إمام مقدم وجليل معظم وكبير مفهَّم.

وجملة قولنا: أنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله، وبما جاءوا به من عند الله، وبما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، لا نردّ من ذلك شيئا؛ وأن الله واحد لا إله إلا هو فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدىٰ ودين الحق؛ ليظهره علىٰ الدين كله، وأن الجنة حق والنار حق، وأن الساعة آتية، وأن الله يبعث من في القبور، وأن الله مستو علىٰ عرشه كما قال ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، وأن له وجها كما قال: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن]، وأن له يدين بلا كيف كما قال: ﴿خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص:٧٥]، وكما قال: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ [المائدة:٦٤]، وأن له عينين بلا كيف كما قال: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر:١٤].

وأنَّ من زعم أن أسماء الله غيرُه كان ضالًّا -وذكر نحوا مما ذكر في الفِرَق.

إلىٰ أن قال: ونقول: إن الإسلام أوسع من الإيمان، وليس كل إسلام إيمانا، وندين بأن الله يقلب القلوب بين إصبعين من أصابع الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه عَزَّوَجَلَّ يضع السَّمٰوات علىٰ إصبع، والأرضين علىٰ إصبع، كما جاءت الرواية الصحيحة عن رسول الله ﷺ.

إلىٰ أن قال: وإن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، ونسلم الروايات الصحيحة عن رسول الله ﷺ، التي رواها الثقات عدلا عن عدل حتىٰ ينتهي إلىٰ رسول الله ﷺ.

إلىٰ أن قال: ونصدّق بجميع الروايات التي أثبتها أهل النقل من النزول إلىٰ سماء الدنيا، وأن الرب عَزَّوَجَلَّ يقول: «**هل من سائل؟ هل من مستغفر؟**» وسائر ما نقلوه وأثبتوه خلافا لما

قال أهل الزيغ والتضليل.

ونعوِّل فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا وسنة نبينا وإجماع المسلمين وما كان في معناه، ولا نبتدع في دين الله ما لم يأذن لنا به، ولا نقول على الله ما لا نعلم، ونقول: إن الله يجيء يوم القيامة كما قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر].

وأنّ الله يقرب من عباده كيف شاء كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق]، وكما قال: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [النجم].

إلى أن قال: وسنحتج لما ذكرناه من قولنا وما بقي مما لم نذكره بابا بابا. ثم تكلم على أن الله يُرى واستدل على ذلك، ثم تكلم على أنّ القرآن غير مخلوق واستدل على ذلك، ثم تكلم على من وقف في القرآن وقال: لا أقول: إنه مخلوق ولا غير مخلوق، وردّ عليه.

ثم قال: باب ذكر الاستواء على العرش.

فقال: إن قال قائل ما تقولون في الاستواء؟ قيل له: نقول: إن الله مستو على عرشه كما قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه]، وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[فاطر:١٠]، وقال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾[النساء:١٥٨]، وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة:٥]، وقال تعالى حكايةً عن فرعون: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر]، كذّب موسى في قوله: إن الله فوق السّمٰوات، وقال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الملك:١٦]، فالسموات فوقها العرش فلما كان العرش فوق السّمٰوات قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾؛ لأنه مستوٍ على العرش الذي هو فوق السّمٰوات، وكل ما علا فهو سماء، فالعرش أعلى السموات، وليس إذا قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني جميع السّمٰوات، وإنّما أراد العرش الذي هو أعلى السموات، ألا ترى أن الله عَزَّوَجَلَّ ذكر السّمٰوات فقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح:١٦]، ولم يرد أن القمر يملؤهن وأن فيهن جميعا.

ورأينا المسلمين جميعًا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء؛ لأن الله علىٰ عرشه الذي هو فوق السَّمٰوات، فلولا أن الله علىٰ العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش، كما لا يحطونها إذا دعوا إلىٰ الأرض.

ثم قال: فصل: وقد قال القائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إن معنىٰ قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [طه] أنه استولىٰ وملك وقهر، وأن الله عَزَّوَجَلَّ في كل مكان وجحدوا أن يكون الله علىٰ عرشه كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلىٰ القدرة، فلو كان كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة؛ لأن الله قادر علىٰ كل شيء، والأرض فالله قادر عليها وعلىٰ الحشوش وعلىٰ كل ما في العالم، فلو كان الله مستويا علىٰ العرش بمعنىٰ الاستيلاء -وهو عَزَّوَجَلَّ مستولٍ علىٰ الأشياء كلها- لكان مستويا علىٰ العرش وعلىٰ الأرض وعلىٰ السماء وعلىٰ الحشوش والأقذار؛ لأنه قادر علىٰ الأشياء مستولٍ عليها، وإذا كان قادرا علىٰ الأشياء كلِّها ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول: إنَّ الله مستوٍ علىٰ الحشوش والأخلية. لم يجز أن يكون الاستواء علىٰ العرش الاستيلاء الذي هو عامٌّ في الأشياء كلها، ووجب أن يكون معنىٰ الاستواء يختص العرش دون الأشياء كلها.

وذكر دلالاتٍ من القرآن والحديث والإجماع والعقل.

ثم قال: بابُ الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين.

وذكر الآيات في ذلك، وردّ علىٰ المتأوِّلين لها بكلام طويل لا يتّسع هـٰذا الموضع لحكايته، مثل قوله: فإن سُئلنا أتقولون لله يدان؟ قيل نقول ذلك، وقد دل عليه قوله تعالىٰ: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ [الفتح:١٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص:٧٥]، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنّ الله مسح ظهر آدم بيده فاستخرج منه ذريته**»، وقد جاء في الخبر المأثور عن النبي ﷺ «**أن الله خلق آدم بيده وخلق جنة عدن بيده وكتب التوراة بيده وغرس شجرة طوبىٰ بيده**».

وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل: عملت كذا بيدي

ويريد بها النعمة، وإذا كان الله إنما خاطب العرب بلغتها، وما يجري مفهوما في كلامها، ومعقولا في خطابها، وكان لا يجوز في خطاب أهل البيان أن يقول القائل: فعلت كذا بيدي ويعني بها النعمة، بطل أن يكون معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿بِيَدَيَّ﴾ النعمة.

وذكر كلاما طويلا في تقرير هـٰذا ونحوه.

وقال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقْلَاني المتكلم -وهو أفضل المتكلمين المنتسبين إلىٰ الأشعري؛ ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده- قال في كتاب «الإبانة» تصنيفه: فإن قال قائل: فما الدليل علىٰ أن لله وجها ويدا؟ قيل له: قوله ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن]، وقوله تعالىٰ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، فأثبت لنفسه وجهًا ويدا.

فإن قال: فلم أنكرتم أن يكون وجهه ويده جارحة إن كنتم لا تعقلون وجها ويدا إلا جارحة؟ قلنا: لا يجب هـٰذا كما لا يجب إذا لم نعقل حيا عالما قادرا إلا جسما أن نقضي نحن وأنتم بذلك علىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكما لا يجب في كل شيء كان قائما بذاته أن يكون جوهرا؛ لأنّا وإياكم لم نجد قائما بنفسه في شاهدنا إلا كذلك، وكذلك الجواب لهم: إن قالوا: يجب أن يكون علمه وحياته وكلامه وسمعه وبصره وسائر صفات ذاته عرَضا واعتلوا بالوجود، وقال: فإن قال: فهل تقولون: إنه في كل مكان؟ قيل له معاذ الله؛ بل مستو علىٰ عرشه كما أخبر في كتابه فقال: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه]، وقال الله تعالىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]، وقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾ [الملك].

قال: ولو كان في كلِّ مكان لكان في بطن الإنسان وفمه والحشوش والمواضع التي يُرغب عن ذكرها، ولوجب أن يزيد بزيادة الأمكنة إذا خلق منها ما لم يكن، وينقص بنقصانها إذا بطل منها ما كان، ولصحَّ أن يُرغب إليه إلىٰ نحو الأرض، وإلىٰ خلفنا وإلىٰ يميننا وإلىٰ شمالنا، وهـٰذا قد أجمع المسلمون علىٰ خلافه وتخطئة قائله.

وقال أيضا في هـٰذا الكتاب صفات ذاته التي لم يزل ولا يزال موصوفًا بها وهي الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة والبقاء والوجه والعينان واليدان والغضب والرضا.

وقال في كتاب التمهيد كلاما أكثر من هـٰذا لكن ليست النسخة حاضرة عندي، وكلامه وكلام غيره من المتكلمين في مثل هـٰذا الباب كثير لمن يطلبه، وإن كنّا مستغنين بالكتاب والسنة وآثار السلف عن كل كلام.

ومِلاك الأمر أن يهب الله للعبد حكمة وإيمانا بحيث يكون له عقل ودين، حتىٰ يفهم ويدين، ثم نور الكتاب والسنة يغنيه عن كل شيء؛ ولكن كثيرا من الناس قد صار متنسبا إلىٰ بعض طوائف المتكلمين، ومحسنا للظن بهم دون غيرهم، ومتوهِّما أنهم حققوا في هـٰذا الباب ما لم يحققه غيرهم، فلو أتي بكل آية ما تبعها حتىٰ يؤتىٰ بشيء من كلامهم.

ثم هم مع هـٰذا مخالفون لأسلافهم غير متّبعين لهم، فلو أنهم أخذوا بالهدىٰ الذي يجدونه في كلام أسلافهم لرُجي لهم مع الصِّدق في طلب الحق أن يزدادوا هدىٰ، ومن كان لا يقبل الحق إلا من طائفة معيّنة، ثم لا يتمسّك بما جاءت به من الحق: ففيه شَبه من اليهود الذين قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ [البقرة]. فإنَّ اليهود قالوا: لا نؤمن إلَّا بما أنزل علينا قال الله تعالىٰ لهم: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ [أي: إن كُنتم مؤمنين بما أنزل عليكم]، يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: لا لِما جاءتكم به أنبياؤكم تتّبعون، ولا لما جاءتكم به سائر الأنبياء تتبعون، ولكن إنما تتبعون أهواءكم، فهـٰذا حال من لم يقبل الحق، لا من طائفته ولا من غيرها، مع كونه يتعصب لطائفته بلا برهان من الله ولا بيان.

وكذلك قال أبو المعالي الجويني في كتابه «الرسالة النظامية»: اختلفت مسالك العلماء في هـٰذه الظواهر، فرأىٰ بعضهم تأويلها وإلتزم ذلك في آي الكتاب وما يصح من السُّنن، وذهب

أئمّة السلف إلىٰ الانكفاف عن التأويل وإجراء الظَّواهر علىٰ مواردها وتفويض معانيها إلىٰ الرّب.

فقال: والذي نرتضيه رأيا وندين اللهَ به عقيدةً: اتِّباعُ سلف الأمة، والدليل السمعي القاطع في ذلك إجماع الأمة وهو حجة متبعة، وهو مستندُ معظمِ الشريعة.

وقد درج صحب رسول الله ﷺ علىٰ ترك التعرُّض لمعانيها، ودرك ما فيها، وهم صفوة الإسلام، والمستقلّون بأعباء الشريعة، وكانوا لا يألون جهدا في ضبط قواعد الملة، والتواصي بحفظها وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها، فلو كان تأويل هـٰذه الظواهر مسوغًا أو محتوما: لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصرهم وعصر التابعين علىٰ الإضراب عن التأويل: كان ذلك هو الوجه المتبع، فحقٌّ علىٰ ذي الدين أن يعتقد [تنزُّه الباري] عن صفات المحدثين، ولا يخوض في تأويل المشكلات ويكِلُ معناها إلىٰ الربِّ تعالىٰ فليجر آية الاستواء والمجيء وقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾[الرحمن]، وقوله: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:١٤]، وما صح من أخبار الرسول ﷺ كخبر النُّزول وغيره علىٰ ما ذكرناه.

قلتُ: وليعلم السائل أن الغرض من هـٰذا الجواب ذكر ألفاظ بعض الأئمة الذين نقلوا مذهب السلف في هـٰذا الباب، وليس كل من ذكرنا شيئًا من قوله من المتكلمين وغيرهم يقول بجميع ما نقوله في هـٰذا الباب وغيره؛ ولكن الحق يُقبل من كل من تكلم به، وكان معاذ بن جبل يقول في كلامه المشهور عنه، الذي رواه أبو داود في سننه: اقبلوا الحق من كل من جاء به وإن كان كافرا -أو قال: فاجرا- واحذروا زيغة الحكيم، قالوا: كيف نعلم أن الكافر يقول كلمة الحق؟ قال: إنَّ علىٰ الحقِّ نورًا. أو قال كلاما هـٰذا معناه.

فأمَّا تقرير ذلك بالدليل، وإماطة ما يعرض من الشبه وتحقيق الأمر علىٰ وجه يخلص إلىٰ القلب ما يبرد به من اليقين ويقف علىٰ مواقف آراء العباد في هـٰذه المهامه، فما تتّسع له هـٰذه الفتوىٰ، وقد كتبتُ شيئًا من ذلك قبل هـٰذا وخاطبت ببعض ذلك بعض من يجالسنا، وربما

أكتب إن شاء الله في ذلك ما يحصلُ به المقصود.

وجِماع الأمر في ذلك أن الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدىٰ والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه، وقصَدَ اتِّباع الحق وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه، والإلحاد في أسماء الله وآياته.

ولا يحسب الحاسب أنَّ شيئا من ذلك يناقض بعضه بعضًا ألبتة؛ مثل أن يقول القائل ما في الكتاب والسنة من أنَّ الله فوق العرش يخالفه في الظّاهر من قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ﴾ [الحديد:٤]، وقوله ﷺ: «**إذ قام أحدكم إلىٰ الصلاة فإنّ الله قِبل وجهه**» ونحو ذلك فإن هـٰذا غلط وذلك أنّ الله معنا حقيقةً، وهو فوق العرش حقيقة كما جمع الله بينهما في قوله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤﴾ [الحديد].

فأخبر أنه فوق العرش يعلم كل شيء وهو معنا أينما كنا، كما قال النبي ﷺ في حديث الأوعال «**والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه**».

وذلك أن كلمة (مَعَ) في اللغة إذا أُطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمينٍ أو شمال، فإذا قُيِّدت بمعنىٰ من المعاني دلت علىٰ المقارنة في ذلك المعنىٰ، فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا أو والنجم معنا، ويقال: هـٰذا المتاع معي لمجامعته لك، وإن كان فوق رأسك، فالله مع خلقه حقيقة، وهو فوق عرشه حقيقة.

ثم هـٰذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد، فلما قال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ﴾، دلَّ ظاهر الخطاب علىٰ أنّ حكم هـٰذه المعية ومقتضاها أنه مطَّلِعٌ عليكم، شهيد عليكم، ومهيمن عالم بكم، وهـٰذا معنىٰ قول السلف: إنه معهم بعلمه. وهـٰذا ظاهر الخطاب وحقيقته.

كذلك في قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ إلىٰ قوله: ﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ۖ﴾ [المجادلة:٧]، ولما قال النبي ﷺ لصاحبه في الغار: «**لا تحزن إنَّ الله معنا**» كان هـٰذا أيضا حقًّا علىٰ ظاهره، ودلّت الحال علىٰ أن حكم هـٰذه المعية هنا معية الإطلاع والنّصر والتأييد.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝١٢٨﴾ [النحل]، وكذلك قوله لموسىٰ وهارون: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ [طه]، هنا المعية علىٰ ظاهرها، وحكمها في هـٰذه المواطن النّصر والتأييد.

وقد يدخل علىٰ صبي من يخيفه فيبكي فيشرف عليه أبوه من فوق السقف فيقول: لا تخف أنا معك، أو أنا هنا، أو أنا حاضر ونحو ذلك. ينبهه علىٰ المعية الموجبة بحكم الحال دفع المكروه؛ ففرق بين معنىٰ المعية وبين مقتضاها، وربما صار مقتضاها من معناها، فيختلف باختلاف المواضع.

فلفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع يقتضي في كل موضع أمورا لا يقتضيها في الموضع الآخر، فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع، أو تدلّ علىٰ قدر مشتركٍ بين جميع مواردها -وإن امتاز كلُّ موضع بخاصية- فعلىٰ التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرّب عَزَّوَجَلَّ مختلطة بالخلق حتىٰ يقال: قد صُرفت عن ظاهرها.

ونظيرها من بعض الوجوه الربوبية والعبودية، فإنهما وإن اشتركتا في أصل الربوبية والعبودية فلما قال: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۝١٢٢﴾ [الأعراف]، كانت ربوبية موسىٰ وهارون لها اختصاص زائد علىٰ الربوبية العامة للخلق، فإن من أعطاه الله من الكمال أكثر مما أعطىٰ غيره: فقد ربَّه وربَّاه ربوبيّةً وتربيةً أكمل من غيره.

وكذلك قوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾ [الإنسان] و﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء:١].

فإنَّ العبد تارة يعني به المعبّد فيعم الخلق كما في قوله: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ [مريم]، وتارة يعنىٰ به العابد فيُخَصُّ، ثم يختلفون فمن كان أعبد علما وحالًا، كانت عبوديته أكمل، فكانت الإضافة في حقِّه أكمل، مع أنها حقيقة في جميع المواضع.

ومثل هـٰذه الألفاظ يسمِّيها بعض الناس مشككة لتشكك المستمع فيها، هل هي من قبيل الأسماء المتواطئة، أو من قبيل المشتركة في اللفظ فقط، والمحققون يعلمون أنها ليست خارجة عن جنس المتواطئة؛ إذْ واضِعُ اللغة إنما وضع اللفظ بإزاء القدْر المشترك، وإن كانت نوعًا مختصًّا من المتواطئة فلا بأس بتخصيصها بلفظ.

ومن علم أن المعية تضاف إلىٰ كل نوع من أنواع المخلوقات -كإضافة الربوبية مثلا- وأنَّ الاستواء علىٰ الشيء ليس إلا للعرش، وأنَّ الله يوصف بالعلو والفوقية الحقيقية، ولا يوصف بالسُّفول ولا بالتحتية قط، لا حقيقة ولا مجازا: علم أن القرآن علىٰ ما هو عليه من غير تحريف.

ثم من توهّم أن كون الله في السماء بمعنىٰ أن السماء تحيط به وتحويه، فهو كاذبٌ إن نقله عن غيره، وضال إن اعتقده في ربِّه، وما سمعنا أحدا يفهم هـٰذا من اللفظ، ولا رأينا أحدا نقله عن واحد، ولو سئل سائر المسلمين هل تفهمون من قول الله ورسوله: إن الله في السماء أن السماء تحويه؟ لبادر كل أحد منهم إلىٰ أن يقول: هـٰذا شيءٌ لعله لم يخطر ببالنا.

وإذا كان الأمر هكذا فمن التكلُّف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئا محالا لا يفهمه الناس منه، ثم يريد أن يتأوله؛ بل عند الناس إن الله في السماء وهو علىٰ العرش واحد، إذْ السماء إنما يراد به العلو، فالمعنىٰ أنّ الله في العلو لا في السفل، وقد علم المسلمون أنَّ كرسيه ﷻ وسع السَّمٰوات والأرض، وأن الكرسي في العرش كحلْقة ملقاة بأرضٍ فلاة، وأن العرش خلق من مخلوقات الله لا نسبةَ له إلىٰ قدرة الله وعظمته، فكيف يتوهّم بعد هـٰذا أن خلقا يحصره ويحويه، وقد قال سبحانه: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾[طه:٧١]، وقال: ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [آل عمران:١٣٧] بمعنىٰ (علىٰ) ونحو ذلك، وهو كلام عربي حقيقة لا مجازا، وهـٰذا

يعلمه من عرف حقائق معاني الحروف، وأنها متواطئة في الغالب لا مشتركة.

وكذلك قوله ﷺ: «**إذا قام أحدكم إلىٰ الصلاة فإن الله قِبل وجهه، فلا يبصق قِبل وجهه**» الحديث حقٌّ علىٰ ظاهره، وهو سبحانه فوق العرش، وهو قبل وجه المصلِّي؛ بل هـٰذا الوصف يثبت للمخلوقات؛ فإن الإنسان لو أنه يناجي السماء أو يناجي الشمس والقمر لكانت السماء والشمس والقمر فوقه وكانت أيضا قبل وجهه.

وقد ضرب النبي ﷺ المثل بذلك -ولله المثل الأعلىٰ- ولكن المقصود بالتمثيل بيان جواز هـٰذا وإمكانه لا تشبيه الخالق بالمخلوق، فقال النبي ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا سيرىٰ ربه مَخْلِيًّا به**» فقال له أبو رَزِين العُقَيْلي: كيف يا رسول الله وهو واحد ونحن جميع؟ فقال النبي ﷺ: «**سأنبئك بمثل ذلك في آلاء الله، هـٰذا القمر كلكم يراه مخليا به وهو آية من آيات الله، فالله أكبر**» أو كما قال النبيُّ ﷺ.

وقال: «**إنكم سترون ربكم كما ترون الشَّمس والقمر**»، فشبّه الرؤية بالرؤية، وإن لم يكن المرئي مشابها للمرئي، فالمؤمنون إذا رأوا ربهم يوم القيامة وناجوه كل يراه فوقه قِبل وجهه كما يرىٰ الشمس والقمر، ولا منافاة أصلا.

ومن كان له نصيبٌ من المعرفة بالله والرسوخ في العلم بالله يكون إقراره للكتاب والسنة علىٰ ما هما عليه أوكد.

واعلم أنَّ من المتأخرين من يقول: مذهب السلف إقرارها علىٰ ما جاءت به مع اعتقاد أن ظاهرها غيرُ مراد، وهـٰذا اللّفظ مجمل؛ فإن قوله ظاهرها غير مراد، يحتمل أنه أراد بالظاهر نعوت المخلوقين وصفات المحدَثين؛ مثل أن يراد بكون الله قبل وجه المصلي، أنه مستقر في الحائط الذي يصلِّي إليه، وأن الله معنا ظاهره أنه إلىٰ جانبنا، ونحو ذلك، فلا شك أنّ هـٰذا غير مراد.

ومن قال: إنّ مذهب السلف إن هـٰذا غير مراد فقد أصاب في المعنىٰ؛ لكن أخطأ بإطلاق القول بأن هـٰذا هو ظاهر الآيات والأحاديث، فإنَّ هـٰذا هو المحال ليس هو الظاهر علىٰ ما

قد بيناه في غير هـٰذا الموضع، اللَّهُمَّ إلا أن يكون هـٰذا المعنىٰ الممتنع صار يظهر لبعض الناس فيكون القائل لذلك مصيبًا بهـٰذا الاعتبار، معذورا في هـٰذا الإطلاق.

فإن الظهور والبطون قد يختلف باختلاف أحوال الناس، وهو من الأمور النِّسبية، وكان أحسن من هـٰذا أن يبيِّن لمن اعتقد أن هـٰذا هو الظاهر، أن هـٰذا ليس هو الظاهر، حتىٰ يكون قد أعطىٰ كلامَ الله وكلام رسوله حقَّه لفظًا ومعنًىٰ.

وإن كان الناقل عن السلف أراد -بقوله الظاهر غير مراد عندهم- أن المعاني التي ظهرت من هـٰذه الآيات والأحاديث مما يليق بجلال الله وعظمته ولا يختص بصفة المخلوقين؛ بل هي واجبة لله أو جائزة عليه جوازًا ذهنيًّا، أو جوازًا خارجيًّا: غير مراد، فهـٰذا قد أخطأ فيما نقله عن السلف، أو تعمد الكذب، فما يمكن أحد قط أن ينقل عن واحد من السلف ما يدل -لا نصًّا ولا ظاهرًا- أنهم كانوا يعتقدون أن الله ليس فوق العرش، ولا أن الله ليس له سمع ولا بصر ولا يد حقيقة.

وقد رأيت هـٰذا المعنىٰ ينتحله بعض من يحكيه عن السلف، ويقولون: إن طريقة أهل التأويل هي في الحقيقة طريقة السَّلف، بمعنىٰ أن الفريقين اتفقوا علىٰ أن هـٰذه الآيات والأحاديث لم تَدُلَّ علىٰ صفات الله ﷻ؛ ولكن السلف أمسكوا عن تأويلها، والمتأخرون رأوا المصلحة في تأويلها، لمسيس الحاجة إلىٰ ذلك، ويقولون: الفرق بين الطَّريقين أنَّ هؤلاء قد يعيِّنون المراد بالتأويل، وأولئك لا يعينون لجواز أن يراد غيره.

وهـٰذا القول علىٰ الإطلاق كذبٌ صريحٌ علىٰ السلف: أما في كثير من الصفات فقطعًا، مثل أن الله تعالىٰ فوق العرش، فإنَّ من تأمل كلام السلف المنقول عنهم -الذي لم يُحْكَ هنا عشره- عُلِم بالاضطرار أن القوم كانوا مصرِّحين بأنّ الله فوق العرش حقيقة، وأنهم ما اعتقدوا خلاف هـٰذا قط، وكثيرٌ منهم قد صرح في كثير من الصِّفات بمثل ذلك.

واللهُ يعلم أني بعد البحث التام ومطالعة ما أمكن من كلام السلف، ما رأيت كلام أحد منهم يدلُّ -لا نصًّا ولا ظاهرا ولا بالقرائن- علىٰ نفي الصفات الخبرية في نفس الأمر؛ بل

الذي رأيته أن كثيرا من كلامهم يدل -إما نصًّا وإما ظاهرا- علىٰ تقرير جنس هـٰذه الصفات، ولا أنقل عن كل واحد منهم إثبات كل صفة؛ بل الذي رأيته أنهم يثبتون جنسها في الجملة، وما رأيت أحدا منهم نفاها، وإنما ينفون التشبيه، وينكرون علىٰ المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه، مع إنكارهم علىٰ من ينفي الصفات أيضا؛ كقول نُعيم بن حمّاد الخُزاعي شيخ البخاري: من شبَّه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف اللهُ به نفسه ولا رسوله تشبيها.

وكانوا إذا رأوا الرَّجل قد أغرق في نفي التشبيه من غير إثبات الصِّفات قالوا: هـٰذا جهميٌّ معطل. وهـٰذا كثيرٌ جدًّا في كلامهم، فإن الجهمية والمعتزلة إلىٰ اليوم يسمُّون من أثبت شيئا من الصفات مشبها -كذبا منهم وافتراء- حتىٰ إن منهم من غلا ورمىٰ الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بذلك، حتىٰ قال ثُمامة بن الأشرس من رؤساء الجهمية: ثلاثة من الأنبياء مشبهة موسىٰ حيث قال: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف:١٥٥]، وعيسىٰ حيث قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة:١١٦]، ومحمد ﷺ حيث قال: «**ينزل ربُّنا**».

وحتىٰ إن جل المعتزلة تُدخل عامة الأئمة مثل مالك وأصحابه، والثوري وأصحابه، والأوزاعي وأصحابه، والشّافعي وأصحابه، وأحمد وأصحابه، وإسحاق بن راهويه، وأبي عبيد، وغيرهم في قسم المشبِّهة.

وقد صنّف أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن درباس الشافعي جزءًا سمّاه «تنزيه أئمة الشريعة عن الألقاب الشّنيعة»، ذكر فيه كلام السلف وغيرهم من معاني هـٰذه الألقاب، وذكر أنّ أهل البدع كل صنْف منهم يلقب أهل السنة بلقب افتراه، يزعم أنه صحيح علىٰ رأيه الفاسد؛ كما أنَّ المشركين كانوا يلقِّبون النبي بألقاب افتروها.

فالروافض تسميهم نواصب، والقدرية يسمُّونهم مُجَبِّرَة، والمُرجئة تسميهم شُكاكا، والجهمية تسميهم مشبِّهة، وأهل الكلام يسمونهم حَشْوِية ونوابت وغثاء وغُثْرًا، إلىٰ أمثال ذلك، كما كانت قريش تسمِّي النبي ﷺ تارة مجنونا، وتارة شاعرا، وتارة كاهنا، وتارة

مفتريا.

قالوا: فهـٰذه علامة الإرث الصَّحيح والمتابعة التامة، فإنَّ السنة هي ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه اعتقادًا واقتصادًا وقولًا وعملا؛ فكما أن المنحرفين عنه يسمُّونهم بأسماءٍ مذمومة مكذوبة -وإن اعتقدوا صدقها بناء علىٰ عقيدتهم الفاسدة-، فكذلك التَّابعون له علىٰ بصيرة الذين هم أولىٰ الناس به في المحيا والممات باطنًا وظاهرا.

وأما الذين وافقوه ببواطنهم وعجزوا عن إقامة الظواهر، والذين وافقوه بظواهرهم وعجزوا عن تحقيق البواطن، والذين وافقوه ظاهرًا وباطنا بحسب الإمكان: فلابد للمنحرفين عن سنّته أن يعتقدوا فيهم نقصًا يذمونهم به، ويسمُّونهم بأسماء مكذوبة -وإن اعتقدوا صدقها- كقول الرّافضي: من لم يُبغض أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعمر فقد أبغض عليًّا؛ لأنه لا وَلاية لعلي إلا بالبراءة منهما. ثم يجعل من أحبّ أبا بكر وعمر ناصبيًّا، بناء علىٰ هـٰذه الملازمة الباطلة التي اعتقدها صحيحة أو عاند فيها وهو الغالب.

وكقول القدري: من اعتقد أنّ الله أراد الكائنات وخلق أفعال العباد: فقد سلب من العباد الاختيار والقدرة، وجعلهم مجبورين كالجمادات التي لا إرادة لها ولا قدرة.

وكقول الجهمي: من قال: إنَّ الله فوق العرش فقد زعم أنه محصور، وأنه جسم مركّب محدود وأنّه مشابه لخلقه.

وكقول الجهمية والمعتزلة: من قال: إنّ لله علما وقدرة فقد زعم أنه جسم مركّب، وإنه مشبه؛ لأن هـٰذه الصفات أعراض، والعرَض لا يقوم إلا بجوهرٍ متحيّز، وكل متحيز جسم مركب أو جوهر فرد، ومن قال ذلك فهو مشبه؛ لأن الأجسام متماثلة.

ومن حكىٰ عن الناس المقالات وسماهم بهـٰذه الأسماء المكذوبة بناء علىٰ عقيدته التي هم مخالفون له فيها فهو وربّه والله من ورائه بالمرصاد، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.

وجماع الأمر أن الأقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام، كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة:

قسمان يقولان: تجري علىٰ ظواهرها.

وقسمان يقولان: هي علىٰ خلاف ظاهرها.

وقسمان: يسكتون.

أمّا الأولان فقسمان:

أحدهما: من يجريها علىٰ ظاهرها، ويجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين، فهؤلاء المشبِّهة، ومذهبهم باطل أنكره السلف وإليهم يتوجه الرد بالحق.

الثاني: من يجريها علىٰ ظاهرها اللائق بجلال الله، كما يُجري ظاهر اسم العليم، والقدير، والرب، والإله، والموجود، والذات، ونحو ذلك، علىٰ ظاهرها اللائق بجلال الله، فإنّ ظواهر هـٰذه الصِّفات في حق المخلوق: إما جوهر محدَث، وإما عرَض قائم به.

فالعلم والقدرة والكلام والمشيئة والرحمة والرضا والغضب ونحو ذلك في حق العبد أعراض.

والوجه واليد والعين في حقِّه أجسام.

فإذا كان الله موصوفًا عند عامّة أهل الإثبات بأن له علمًا وقدرة وكلاما ومشيئة -وإن لم يكن ذلك عرضًا يجوز عليه ما يجوز علىٰ صفات المخلوقين- جاز أن يكون وجه الله ويداه صفات ليس أجسامًا يجوزُ عليها ما يجوز علىٰ صفات المخلوقين.

وهـٰذا هو المذهب الذي حكاه الخطَّابي وغيرُه عن السلف، وعليه يدلّ كلام جمهورهم، وكلام الباقين لا يخالفه، وهو أمرٌ واضح فإن الصّفات كالذات، فكما أن ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس المخلوقات، فصفاته ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقات.

فمن قال: لا أعقل علمًا ويدًا إلا من جنس العلم واليد المعهودين.

قيل له: فكيف تعقل ذاتًا من غير جنس ذوات المخلوقين، ومن المعلوم أنَّ صفات كل موصوفٍ تناسب ذاته وتلائم حقيقته؛ فمن لم يفهم من صفات الرَّب -الذي ليس كمثله

شيء- إلا ما يناسب المخلوق فقد ضلَّ في عقله ودينه.

وما أحسن ما قال بعضهم: إذا قال لك الجهمي: كيف استوىٰ؟ أو كيف ينزل إلىٰ سماء الدنيا؟ أو كيف يداه؟ ونحو ذلك، فقل له: كيف هو في ذاته؟ فإذا قال لك: لا يُعلم ما هو إلا هو، وكُنْهُ الباري تعالىٰ غير معلوم للبشر، فقل له: فالعلم بكيفية الصِّفة مستلزم للعلم بكيفية الموصوف، فكيف يمكن أن تعلم كيفية صفة لموصوف، لم تعلم كيفيته، وإنما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة علىٰ الوجه الذي ينبغي لك؛ بل هـٰذه المخلوقات في الجنة قد ثبت عن ابن عباس أنه قال: ليس في الدُّنيا مما في الجنة إلا الأسماء.

وقد أخبر الله تعالىٰ أنه لا تعلم نفس ما أخفِي لهم من قرة أعين، وأخبر النبي ﷺ «**أن في الجنة ما لا عينٌ رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر**».

فإذا كان نعيم الجنة وهو خلقٌ من مخلوقات الله كذلك فما ظنُّك بالخالق سبحانه وتعالى.

وهـٰذه الرُّوح التي في بني آدم قد علم العاقل اضطراب الناس فيها، وإمساك النصوص عن بيان كيفيتها، أفلا يعتبر العاقل بها عن الكلام في كيفية الله تعالىٰ؟ مع أنّا نقطع بأن الروح في البدن، وأنها تخرج منه وتعرج إلىٰ السماء، وإنها تسل منه وقت النزع كما نطقت بذلك النصوص الصحيحة، لا نغالي في تجريدها غلو المتفلسفة، ومن وافقهم حيث نفوا عنها الصعود والنزول، والاتصال بالبدن والانفصال عنه، وتخبطوا فيها حيث رأوها من غير جنس البدن وصفاته، فعدم مماثلتها للبدن لا ينفي أن تكون هـٰذه الصفات ثابتة لها بحسبها، إلا أن يفسروا كلامهم بما يوافق النصوص، فيكونون قد أخطؤوا في اللفظ، وأنَّىٰ لهم بذلك؟

[ولا نقول: إنها مجرّد جزء من أجزاء البدن كالدَّم والبخار مثلا أو صفة من صفات البدن والحياة، وإنها مختلفة الأجساد ومساوية لسائر الأجساد في الحد والحقيقة، كما يقول طوائف من أهل الكلام؛ بل نتيقن أن الروح عينٌ موجودة غير البدن، وإنها ليست مماثلة له؛ وهي موصوفة بما نطقت به النصوص حقيقة لا مجازا، فإذا كان مذهبنا في حقيقة الروح وصفاتها بين المعطلة والممثلة، فكيف الظن بصفات ربِّ العالمين.]

وأما القسمان اللذان ينفيان ظاهرها، أعني الذين يقولون: ليس لها في الباطن مدلول هو صفة الله تعالىٰ قط، وأنَّ الله لا صفة له ثبوتية؛ بل صفاته إما سلبية وإما إضافية، وإما مركبة منهما، أو يثبتون بعض الصفات؛ وهي: الصفات السبعة أو الثمانية أو الخمسة عشر، أو يثبتون الأحوال دون الصفات، ويقرون من الصفات الخبرية بما في القرآن دون الحديث علىٰ ما قد عرف من مذاهب المتكلِّمين.

فهؤلاء قسمان:

قسم يتأولونها ويعينون المراد مثل قولهم: استوىٰ بمعنىٰ استولىٰ؛ أو بمعنىٰ علو المكانة والقدر، أو بمعنىٰ ظهور نوره للعرش، أو بمعنىٰ انتهاء الخلْق إليه، إلىٰ غير ذلك من معاني [المتكلِّفين].

وقسم يقولون: الله أعلم بما أراد بها؛ لكنا نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجية عما علمناه.

وأما القسمان الواقفان:

فقسم: يقولون: يجوز أن يكون ظاهرها المراد اللائق بجلال الله، ويجوز ألَّا يكون المراد صفة الله ونحو ذلك، وهـٰذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم.

وقوم: يمسكون عن هـٰذا كله ولا يزيدون علىٰ تلاوة القرآن وقراءة الحديث، معرضين بقلوبهم وألسنتهم عن هـٰذه التقديرات.

فهـٰذه الأقسام السِّتة لا يمكن أن يخرج الرجل عن قسم منها.

والصّواب في كثير من آيات الصفات وأحاديثها القطع بالطريقة الثابتة كالآيات والأحاديث الدالّة علىٰ أن الله ﷻ فوق عرشه، وتعلم طريقة الصواب في هـٰذا وأمثاله بدلالة الكتاب والسنة والإجماع علىٰ ذلك، دلالة لا تحتمل النّقيض، وفي بعضها قد يغلب علىٰ الظَّن ذلك مع احتمال النّقيض، وتردد المؤمن في ذلك هو بحسب ما يؤتاه من العلم والإيمان، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

ومن اشتبه عليه ذلك أو غيره فليدعُ بما رواه مسلم في «صحيحه» عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا،

قالت: كان رسولُ الله ﷺ إِذَا قَامَ يصلي مِنَ اللّيْلِ، قال: «اللّهُمّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقّ بِإِذْنِكَ إِنّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

وفي رواية لأبي داود: إنه كان يكبر في صلاته ثم يقول ذلك.

فإذا افتقر العبد إلىٰ الله ودعاه، وأدمن النظر في كلام الله وكلام رسوله وكلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين: انفتح له طريق الهدىٰ.

ثم إن كان قد خبَرَ نهايات إقدام المتفلسفة والمتكلمين في هـٰذا الباب، وعرف أن غالب ما يزعمونه برهانا هو شبهة، ورأىٰ أن غالب ما يعتمدونه يؤول إلىٰ دعوىٰ لا حقيقة لها، أو شبهة مركّبة من قياس فاسد، أو قضية كلّية لا [تصلح] إلا جزئية، أو دعوىٰ إجماع لا حقيقة له، أو التمسك في المذهب والدّليل بالألفاظ المشتركة.

ثم إنّ ذلك إذا ركب بألفاظ كثيرة طويلة غريبة عمن لم يعرف اصطلاحهم، أوْهَمَتِ الغِرَّ ما يُوهمه السَّراب للعطشان، ازداد إيمانا وعلمًا بما جاء به الكتاب والسنة، فإنّ الضد يُظهر حسنه الضد، وكل من كان بالباطل أعلم كان للحق أشد تعظيمًا، وبقدره أعرف إذا هُدي إليه.

فأما المتوسطون من المتكلمين فيخاف عليهم ما لا يخاف علىٰ من لم يدخل فيه، وعلىٰ من قد أنهاه نهايته، فإن من لم يدخل فيه فهو في عافية، ومن أنهاه فقد عرف الغاية، فما بقي يخاف من شيء آخر، فإذا ظهر له الحق وهو عطشان إليه قبله، وأما المتوسط فيتوهم بما يتلقاه من المقالات المأخوذة تقليدا لمعظِّمة هؤلاء.

وقد قال بعض الناس: أكثر ما يفسد الدنيا: نصف متكلم، ونصف متفقه، ونصف متطبب، ونصف نحوي، هـٰذا يفسد الأديان، وهـٰذا يفسد البلدان، وهـٰذا يفسد الأبدان، وهـٰذا يفسد اللسان.

ومن علم أن المتكلمين من المتفلسفة وغيرهم في الغالب في قول مختلف، يؤفك عنه من أفك، يعلم الذكي منهم والعاقل أنه ليس هو فيما يقوله علىٰ بصيرة، وأنّ حجته ليست ببينة وإنما هي كما قيل فيها:

حُجَجٌ تَهَافَتُ كَالزُّجَاجِ تَخَالُهَا حَقًّا وَكُلُّ كَاسِرٍ مَكْسُورُ

ويعلم العليم البصير بهم أنهم من وجه مستحقون ما قاله الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث قال: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال: هـٰذا جزاء من أعرض عن الكتاب والسنة وأقبل علىٰ الكلام.

ومن وجه آخر إذا نظرت إليهم بعين القَدَر -والحيرة مستولية عليهم والشيطان مستحوذٌ عليهم- رحمتهم وترفقت بهم، أوتوا ذكاء وما أوتوا زكاء، وأعطوا فهوما وما أعطوا علوما، وأعطوا سمعا وأبصارا وأفئدة ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٢٦﴾ [الأحقاف].

ومن كان عليمًا بهـٰذه الأمور: تبيَّن له بذلك حِذْقُ السلف وعلمهم وخبرتهم حيث حذروا عن الكلام ونهوا عنه وذمّوا أهله وعابوهم؛ وعلم أن من ابتغىٰ الهدىٰ في غير الكتاب والسنة لم يزدد من الله إلا بعدًا.

فنسأل الله العظيم أن يهدينا صراطه المستقيم؛ صراط الذين أنعم عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين. آمين.

والحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه علىٰ محمّد خاتم النبيين وآله وصحبه أجمعين.

للمراسلة حول تصحيح الأخطاء المطبعية
Sunnah.College1@gmail.com